

## القصيدة المحمدية

الشاعر الإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد البوصيري رحمه الله تعالى

محمد أشرف الأعرابو العجم	محمد خير من يمشى على قدم
محمد باسط المعروف جامع	محمد صاحب الإحسان والكرم
محمد تاج رسل الله قاطبة	محمد صادق الأقوال والكلم
محمد ثابت الميثاق حافظه	محمد طيب الأخلاق والشيم
محمد رويت بالنور طينته	محمد لم يزل نورا من القدم
محمد حاكم بالعدل ذو شرف	محمد معدن الإنعام والحكم
محمد خير خلق الله من مضر	محمد خير رسل الله كلهم
محمد دينه حق ندين به	محمد مجملا حقا على علم
محمد ذكره روح لأنفسنا	محمد شكره فرض على الأمم
محمد زينة الدنيا وبهجتها	محمد كاشف الغمات والظلم
محمد سيد طابت مناقبه	محمد صاغه الرحمن بالنعمة
محمد صفوة الباري وخيرته	محمد طاهر وسائر التهم
محمد ضاحك للضيف مكرمه	محمد جاره والله لم يضم
محمد طابت الدنيا بيعته	محمد جاء بالآيات والحكم
محمد يوم بعث الناس شافعنا	محمد نوره الهادي من الظلم
محمد قائم لله ذو همم	محمد خاتم للرسل كلهم

## افتتاحية العدد

الذاكرة أهم شيء في الحياة الإنسانية، وبها تحفظ الأشياء، لأجل المستقبل، وبها تستقيم الأمور المعوجة، وبها توضع الأشياء في مكانها المناسب، لأن الذاكرة تحثنا على العدل، وأخذ العبرة من القصص العابرة، والتخطي نحو الحضارة الراقية والثقافة المتقدمة فإن فقدت هذه الذاكرة مخزوناتنا التاريخية فتكون العادات الإنسانية والأعراف السائدة محل عدم الثقة، ولذلك يرغب الناس في حفظ الأشياء والوقائع ونقلها من جيل إلى جيل آخر لتحسين الأوضاع السياسية والنظم الثقافية في المجتمعات البشرية .

ومن اللافت للانتباه أن الذاكرة الفردية أو الذاكرة الجماعية تؤثر كل منهما في تغيير الأحوال وتصحيح المسارات الخاطئة، وتحسينها أكثر من تلك التي كانت عليه، وبناء على ذلك فإن بعض الأقوام والشعوب تهتم اهتماما بإحياء الذاكرة الفردية في معرض إقامة المواليد والمناسبات، لأن هذه المناسبات تحيي في قلوبهم مشاعر الحب والإخلاص، والتوجه نحو الذاكرة الفردية التي أرست دعائم الثقافة الواعية في التاريخ الإنساني، فالذاكرة تطلق على قدرة النفس على الاحتفاظ بالتجارب السابقة واستعادتها وقت الحاجة فالمولد يعطينا فرصة ثمينة لتنشيط الذاكرة الإنسانية لاستلهاهم أضواء كاشفة من التجارب الخالدة التي مارسها صاحب المولد خلال حياته الظاهرة.

وانطلاقاً من هذا أن ضياء الأمة، المجدد، العلامة محمد كرم شاه الأزهرى - رحمه الله تعالى - ذاكرة فردية تذكرونا حياة رائعة متميزة في تشكيل الحضارة الإسلامية، وتبعثنا على السلوك نحو الله تعالى ورسوله - عليه الصلاة والسلام - محرضة على التقدم، والحدأة، مع علاقة وطيدة تشمل الإنسانية كلها، وفي الحقيقة أن هذه الذاكرة ذاكرة القرآن والسنة، وانهما من الضمانات التي تقدم الرفاهية للجميع في كل حين وأن .

وبهذه الذاكرة قام العلامة محمد كرم شاه الأزهرى بإحياء التصوف الإسلامي في شبه القارة الهند وباكستانية، ووضع له أسسا متينة تضعنا أمام الطريق الذي يوصلنا إلى خدمة الإنسانية في ميادين العلم والثقافة بإعطاء الفرصة لتعميق علاقات الحب بين العبد وبين الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -.

وفي هذا السياق كان ضياء الأمة، العلامة محمد كرم شاه يجدد هذه الذاكرة القيمة بنفع الأمة وجدواها كما قال الله تعالى : " وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين " .

وتأسيسا على ذلك فإن مولد ضياء الأمة، العلامة محمد كرم شاه الأزهرى ذاكرة ذات الأصالة والحدأة، تذكرونا حياته ممثلة الإسلام في عصر الفتن والفساد وبمرور تسع سنين على انتقال ضياء الأمة إلى جوار الله تعالى، نقوم بإحياء ذكره في التاسع والعشرين من يناير الحالي عام 2008م داعين الله عز وجل أن يوفقنا فهم الذاكرة الأصيلة المستوحاة من القرآن والسنة فهما عميقا بعيدا عن التزم والإرهاب، قريبا من العدل والوسطية والاعتدال .

بقلم/ الدكتور الحافظ محمد منير

## فضيلة الشيخ الدكتور فريد الدين القادري ( 1918م – 1974م ) وأعماله في مجال الفكر الإسلامي

بقلم / الدكتور حافظ محمد منير  
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها  
بدارالعلوم المحمدية الغوثية بهيرة باكستان

لقد ظهر بعض الشخصيات العباقرة الذين رسموا خطوطاً أساسية للتقدم والنهضة والحداثة، وقدموا رحيق ثمار اجتهاداتهم أمام الإنسانية للتخطي نحو السلوك إلى الله عز وجل ورسوله - عليه الصلاة والسلام -، وحاولوا بكل جهد وشوق لتحسين الأوضاع الثقافية، والاجتماعية، والسياسية التي كانت عليها الأمة الإسلامية في عهد العريق. ومن هؤلاء العباقرة، فريد الملة فضيلة الشيخ الدكتور فريد الدين القادري - رحمه الله تعالى - الذي عاش في القرن العشرين في شبه القارة الهند وباكستانية، وأفنى ذاته في حب الله ورسوله - عليه الصلاة والسلام - وقدم أسوة فريدة مستقاة من الكتاب والسنة أمام الأجيال القادمة للحصول على رضا الباري الحقيقي - عز وجل - .

ولادته وتعليمه :

ولد الدكتور فريد الدين القادري في مديرية جهنك بباكستان عام 1918م، وإنه من الأسرة الدينية التي عاشت عيشة طيبة مستفادة من القرآن والسنة، فتلقى العلوم الابتدائية العصرية في المدرسة الثانوية الإسلامية ببلدته من جانب، ومن جانب آخر بدأ يتعلم علوماً إسلامية من أستاذ الأجيال مولانا غلام فريد، وهذا العهد عهد الاحتلال البريطاني الذي جثم على صدر شبه القارة الهند وباكستانية من ناحية ومن ناحية أخرى غلب الغزو الفكري والتيار التغريبي المجتمعات الإسلامية بسبب ضعف المسلمين وانهباهم في مجالات الحياة، ومن هذا المنطلق أن تستبد الأقوام الغاشمة المستعمرة بكل ما لدى المقهورين المغلوبين من الثراء الفكري والثقافي والحضاري كما قال الله - عز وجل - في سياق سورة النمل " إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة كذلك يفعلون " (1) .

فتطبيقاً للآية القرآنية نلاحظ هذه المشاهد المأساوية في شبه القارة الهندو باكستانية التي كانت محاطة بالأمال والآلام، ففي هذه الأحوال نجد الدكتور فريد الدين القادري بعد ما اتسم بالعلوم والمعارف لم يخضع رأسه أمام الاحتلال البريطاني قط بل ساهم بكل جهد وشوق في حركة استقلال باكستان ، وأعان هذه الحركة بالإمدادات المادية والروحية بإشعار المسلمين بأنهم متصفون بالعزة والكرامة وقد رفع الله درجاتهم في الدنيا والآخرة بقدر ما يتمسكون بالعروة الوثقى ويعتصمون بحبل الله المتين.

ومن الجدير بالاهتمام أن الدكتور فريد الدين القادري كان من المهتمين بالتصوف الإسلامي في المجالين النظري والعملي، لأن مجرد النظرية لا يكفي في السلوك إلى الله عز وجل، وكذلك العمل المحض لا يوفي المتطلبات الروحية، فبين النظرية والعملية نسبة التساوي لصدق جميع أجزاء كل منهما على الآخر أو نسبة التلازم الذي يتمثل في علاقة الروح والجسد. وانطلاقاً من هذا أنه أخذ الدروس من الشيخ محمد الكتاني (رئيس رابطة المشائخ بسوريا) خلال تعليمه كتب ابن العربي من الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، بالإضافة إلى ذلك تمهر في الطب المتجذر في السنة النبوية على صاحبها - أفضل الصلاة والسلام - لأنه كان على بصيرة تامة بشأن "العقل السليم في الجسم السليم" في تكوين الإنسان المثالي الذي يمثل الإسلام أمام الناس .

ومن هنا ظهر الأمر بأن الدكتور فريد الدين القادري حصل على العلوم والفنون من النواحي الثلاثة .  
الناحية الأولى تنطوي على علوم ذات الأصالة والمعاصرة فالناحية الثانية تتعلق بعلم الطب الذي يتضمن الصحة الإنسانية .  
وأما الناحية الثالثة فتتركز في العلوم الصوفية الناجمة من أحوال وأذواق ومواجيد رجال التصوف الإسلامي وتتضمن الصحة الروحية .

منهجه في التصوف :

ومما سبق القول في ميله إلى التصوف لتزكية نفسه ونفيسته، ورسم نقش اسم الله على القلب الذي يستحق أن يكون متزيئا باسمه عز وجل فقط وأن تكون سويداءه متجلية ببضاء بحضوره الدائم وموضع نظر منه - عز وجل - وهذه هي المهام الجليلة التي يوديعها بحكمة أصحاب الطرق الصوفية المنتشرة في ربوع البلاد، وهذه الظروف المواتية هي التي سهلت للدكتور فريد الدين للاقتباس من فيوض الطريقة القادرية .

ومن هذا المنظور أنه أخذ فيضا روحيا من الطريقة القادرية التي قام بتأسيسها السيد عبد القادر الجيلاني - رحمه الله تعالى - وانفردت هذه الطريقة عن الطرق الأخرى بالتركيز على حب الله ورسوله - عليه الصلاة والسلام - ورعاية الخلق رعاية صالحة تشمل التربية العلمية والروحية، وتوطيد العلاقات بين المجتمعات البشرية على أسس متينة نافعة للإنسانية .

ومما تجدر الإشارة إلى أن الدكتور فريد الدين القادري في علاقة وطيدة مع الأولياء الصالحين عامة، والشيخ سلطان باهو، والشيخ علي الهجويري، والشيخ فريد الدين مسعود كنج شكر، والشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ مولانا جلال الدين الرومي - رحمهم الله تعالى - خاصة، وهذه العلاقة الروحية معروفة لدى الصوفية في الإفادة والاستفادة كما ندرك هذه الحقيقة في قصة سيدنا موسى مع سيدنا الخضر - عليهما الصلاة والسلام- لأن سيدنا موسى عليه - الصلاة والسلام- في لقاءه سيدنا الخضر - عليه الصلاة والسلام- من الملتمسين العلوم اللدنية لزيادة معرفة الله - تعالى- والإطلاع على أسرار ملكوته والثقة به - عز وجل- أكثر من ذلك الحال الذي كان عليه، ومن الجدير بالذكر أن الدكتور فريد الدين القادري كان في شوق دائم وبحث متواصل عن لقاء مع سيدنا الخضر - عليه السلام- للتمكن من معرفة الله - عز وجل- في جميع الأحيان والأزمان .

خدماته في مجال الفكر الإسلامي :

ومن المثير للاهتمام أن حياة الأولياء منطوية على أطوار ثلاثة : فالطور الأول يلقي الضوء على حياته العلمية، وأما الطور الثاني فينصب في تنقلاته من بلد إلى بلد آخر، والسير في أرض الله الواسعة للنظر في عواقب الأمم والأقوام وأسباب ازدهارها وانهيارها ولأخذ الفيوضات الروحية، من المشائخ الصوفية .

فالطور الثالث يشير إلى أداء دوره بتربية الأجيال القادمة تربية إسلامية لتنهض بها الأمة الإسلامية في المجالات الاقتصادية، والسياسية، والثقافية، ذلك الطور الأخير يهمننا في التاريخ والوقائع العابرة بالعناية الفائقة بأنماط السلوك والمعرفة، وتعدد وجهات النظر في الوصول إلى الله عز وجل كما قال الإمام الغزالي " طرق الوصول إلى الله تعالى عدد النجوم في السماء " .  
وتأسيسا على ذلك أن الدكتور فريد الدين القادري بعد ما فرغ من الحصول على التعليم، والسير في الأرض، توجه إلى تثقيف جيله المعاصر تثقيفا تصل جذوره إلى الثقافة الإسلامية ويكون هذا التثقيف نابعا من تجاربه الشخصية في الحياة على هذه المعمورة، وكان يلقي دروسا شاملة جميع العلوم والفنون أمام الذين يقصدون إليه قصد العلم والحكمة، ولا يمكن ذكر أسماء تلامذته

حصريا في هذه العجالة السريعة إلا أنني سأكتفي بإيراد أشهر تلامذته الذين تركوا بصمة واضحة في المجتمع الإسلامي في باكستان وعلى رأس هؤلاء: ابنه شيخ الإسلام الدكتور محمد طاهر القادري الذي ذاع صيته في أرجاء العالم وأطرافه، وكان دائما يقول " الاستقامة فوق الكرامة "، وهذه الاستقامة يمكن رؤيتها في حياة الدكتور فريد الدين القادري وابنه شيخ الإسلام الذي أسس جامعة إسلامية في جمهورية باكستان الإسلامية، وألف كتبا عديدة بمعالجة المشاكل ومصائب المسلمين بحلول إسلامية توافي مقتضيات العصرية .

ومن الجوانب المهمة التي نتحفنا بعبر و دروس بالغة في الأهمية في سبيل توثيق العلاقة مع الله - عز و جل- حيث إن الدكتور كان دائم الحضور مع الله - عز و جل- في حله و ترحاله بل في كل وقت و حين، كان يحي لياليه متمتعا بلذة المناجاة والتضرع والبكاء في حضرة مولاه وعيناه تدرقان الدموع وقلبه ملتان بشوق الوصال وشرف لقاء الحبيب - عليه الصلاة والسلام- ولا شك أن هذه الأحوال السنوية في شخصية الدكتور لتذكرونا وتعود بنا إلى أولئك السلف الأمجاد الذين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون، وكانوا يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم، وكان حقا ممن أتى فيهم "إذا رؤوا ذكر الله" (2) ولا أزكي على الله أحدا.

وأحسب أن المولى - عز و جل- قد أكرمه بفضل خاص وسخر له من صلبه من يواصل مسيرته ويكمل طموحاته في إصلاح الأمة الإسلامية وإعادتهم إلى سابق عهدها، وقد وهبه الله - عز و جل- بخالص مئة ومحض فضله نجلا بارا وولدا صالحا قرّت به عيون الأمة الإسلامية بأكملها بما له من جهاد وجهود وتضحيات في نهضة الأمة من غفوتها، وقد تمثل ذلك في شيخ الإسلام البروفسور الدكتور طاهر القادري - حفظه الله تعالى وسدد خطاه- ويملي علي وجداني أن شيخ الإسلام طاهر القادري من المواهب الإلهية الخالصة التي نالها الدكتور فريد الدين بل هو نعمة من الله على الأمة وبركة في القرن الراهن (3) .

وكان الدكتور فريد الدين القادري ينشر حب الله ورسوله - عليه الصلاة والسلام - طوال حياته إلى أن لحق بالرفيق الأعلى عام 1974م، فجزاه الله عنا خير الجزاء .

الحواشي :

سورة النمل، الآية 34 .

أبوالفداء اسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ط دارالغد الجديد القاهرة ، س 2006م ، ج 2 ، ص 395 .

هذا المقال مستخرج من أعداد مجلة منهاج القرآن الشهرية الصادرة من لاهور باكستان .

## الملكية وأنواعها في الفقه الإسلامي

محمد أرشد أعوان

الباحث بمرحلة الدكتوراة بكلية الشريعة والقانون  
بجامعة الأزهر الشريف - القاهرة .

الملكية من مباحث الخصخصة التي تعد أهم القضايا الاقتصادية في العصر الراهن وفي هذا السياق نلقي بعض الأضواء على الملكية وأنواعها في الفقه الإسلامي وهذا المبحث يشمل ثلاثة مطالب وهي:

المطلب الأول : تعريف الملكية في اللغة و في اصطلاح الفقهاء .

المطلب الثاني : أنواع الملكية في الفقه الإسلامي .

المطلب الثالث : أقسام الملكية العامة في الفقه الإسلامي .

المطلب الأول : تعريف الملكية في اللغة و في اصطلاح الفقهاء

أولا : تعريف الملكية في اللغة

نجد أن أكثر المعاجم قد تناول تعريف الملك باعتباره الأصل الذي تصاغ منه المعاني الأخرى. ومعنى الملك في اللغة يدور حول الاحتواء على الشيء مع القدرة على الاستبداد به.

ففي القاموس المحيط: "ملكه يملكه ملكا مثلثة، ومملكة بضم اللام أو يثلثه احتواه قادرا على الاستبداد به" (1) .

وفي لسان العرب: "الملك والمُلك والملِك - بالضم والفتح والكسر-: احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به" (2) .

وملكته ملكا من باب ضرب، والملِك - بكسر الميم - اسم منه، والفاعل مالك، والجمع ملاك، مثل كافر وكفار، وبعضهم يجعل الملك - بكسر الميم وفتحها - لغتين في المصدر، وملكه الشيء تملِكا جعله ملكا له، يقال: ملكه المال والملِك فهو مملك (3) .

والملك مثلثة الميم ولكن غلب استعمال مكسور الميم ومفتوحها في ملك الأشياء ومضمومها في الولاية العامة أي السلطة؛ فيقال: ملكت الشيء ملكا بكسر الميم وفتحها، وملكته على الناس أمرهم ملكا - بضم الميم - إذا غلبتهم - ولذلك يقال ملك الناس ولا يقال ملك الأشياء. فالوصف الأول ملك وجمعه ملاك والوصف الثاني ملك وجمعه ملوك (4) .

<sup>1</sup> . الفيروز آبادي، القاموس المحيط : ص1232.

<sup>2</sup> . ابن منظور، لسان العرب :492/10 دار صادر ، بيروت ، ط1.

<sup>3</sup> . انظر : ابن منظور، لسان العرب :492/10، الرازي ، مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، 1995م ، ص264 . الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، المكتبة العلمية . بيروت : 580/2 .

<sup>4</sup> . انظر : الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : ص580/2 .

وفى المعجم الوسيط: " الملكية : الملك أو التملك، يقال بيدى عقد ملكية هذه الأرض " (5) ، وهو بهذا جعل الملك والتملك بمعنى واحد، والملكية مصدر صناعي صيغ من المادة منسوباً إلى الملك ويدل على الاستتار والاستبداد بما يتعلق به من الأشياء (6) ، كما أنها تعبير عن العلاقة بين الإنسان والمال وذلك بالنظر إليها نفسها.

ثانياً : تعريف الملكية فى اصطلاح الفقهاء

إذ نظرنا فى تعريف الفقهاء للملك نجد أنهم اختلفوا فيها والباعث على هذا الاختلاف هو أن الملك قد أشكل ضبطه على كثير من الفقهاء وهذا ما أكده القرافى (7) حيث قال: "اعلم أن الملك أشكل ضبطه على كثير من الفقهاء، فإنه عام يترتب على أسباب مختلفة، البيع، والهبة، والصدقة، والإرث وغير ذلك" (8) فأدى هذا إلى اختلاف أنظارهم فى المعنى الاصطلاحى للملك فمنهم من نظر إليه باعتباره حقيقة شرعية أو حكماً أقره الشارع ، ومنهم من نظر إليه على أساس موضوعه وثمرته وآثاره ومنهم من نظر إليه باعتبار العلاقة بين المالك والمملوك ، فلذلك نرى أن العلماء المحدثين (9) صنّفوا تعريف الفقهاء القدامى للملك فى ثلاث مجموعات : المجموعة الاولى:

عرف الملك انطلاقاً من كونه حقيقة شرعية أو صفة تلحق بالشئ المملوك- ومن أشهر هذه التعريفات تعريف القرافى فقال: " الملك حكم شرعى مقدر فى العين أو المنفعة يقتضى تمكن من يضاف إليه من انتفاعه بالمملوك والعوض عنه من حيث هو كذلك " (10).

<sup>5</sup> . المعجم الوسيط ، مجموعة من الأساتذة بإشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ط3 ، 1985 م ص: 922/2.

<sup>6</sup> . د/ العبادى، الملكية فى الشريعة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، مكتبة الأقصى ، عمان ، 1397 هـ - 1977 م .

ص: 128/1 .

<sup>7</sup> . هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجى شهاب الدين القرافى ، من علماء المالكية ، مصري المولد والمنشأة والوفاة ، له مصنفات جليلة فى الفقه والأصول ، منها الذخيرة والفروق ، توفي 684 هـ ، أنظر : الأعلام : 90/1 .

<sup>8</sup> . الفروق للقرافى : 208/3 ، عالم الكتب ، بيروت .

<sup>9</sup> انظر : عبدالله المصلح : قيود الملكية الخاصة : ص 31 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1408 هـ 1988 م .

وعبدالله مختار يونس، الملكية فى الشريعة الإسلامية ودورها فى الاقتصاد الإسلامى، ص 101 ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1407 هـ 1987 م . و. د . حسن الشاذلى : الاقتصاد الإسلامى ، مصادره وأساسه : ص 121 ، ط2 ، دارالكتاب الجامعي ، 1996 م .

<sup>10</sup> . الفروق : : 208/3 .

وقد قام الإمام القرافي بشرح تعريفه وسأذكر ملخصاً لشرح التعريف مع ما وجه إليه ابن الشاط (11) من اعتراضات في حاشيته على الفروق (12).  
الملك حكم:

يقول الإمام القرافي: فإن قلت إذا اتضح حد الملك، فهل هو من خطاب الوضع أو من خطاب التكليف (13) الذي هو من الأحكام الخمسة؟

فبعد أن رجح أن الحكم الوارد في حد الملك هو من خطاب التكليف فغير صيغة التعريف وقال: " إن الملك إباحة شرعية في عين أو منفعة تقتضى تمكن صاحبها من الانتفاع بتلك العين أو المنفعة أو أخذ العوض عنهما من حيث هو كذلك."

وقد اعترض ابن الشاط على هذا التعريف " بأن القول أن الملك هو إباحة شرعية ليس بصحيح ؛ ذلك لأن الإباحة حكم الله ، والحكم عند الأصوليين هو خطاب الله تعالى وخطابه كلامه ، فكيف يكون الملك الذي هو صفة للمالك أو هو صفة للمملوك هو كلام الله تعالى؟ : بل إن الملك سبب الإباحة ، وهو التمكين من الانتفاع ، والانتفاع متعلق بالملك ، وبالتالي فإن الملك من خطاب الوضع لا من خطاب التكليف " .

شرعى:

فبالإجماع ، ولأنه يتبع الأسباب الشرعية ، وقد علق ابن الشاط على هذا بأن " ما قاله بأنه حكم شرعى إن أراد أنه أحد الأحكام الخمسة ( التي هي الإيجاب والندب والتحريم والكراهة والإباحة ) ففيه نظر، وإن أراد أنه أمر شرعى على الجملة فذلك صحيح " .

مقدر:

وذلك لأنه يرجع إلى تعلق إذن الشرع ، والتعلق عدمي ، فهو ليس وصفاً حقيقياً ، بل يقدر في العين أو المنفعة عند تحقق الأسباب المفيدة للملك.  
في العين أو المنفعة:

والأعيان تملك بالبيع ، وكذلك المنافع بالإجارة وغيرها.  
يقتضى انتفاعه بالمملوك:

هذا قيد لإخراج الوكيل والوصى والقاضى فإن هؤلاء يتصرفون ولكن لا يملكون.  
وقال ابن الشاط إن استخدام كلمة "مملوك" في التعريف يؤدي إلى الدور؛ لأنها مشتقة من الملك فلا تعرف إلا معرفته، ومعرفة المشتق فرع معرفة ما منه الاشتقاق (14) .

11 . ابن الشاط ( 643 – 723 هـ ) هو قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط ، أبو محمد ، أبو القاسم الأنصاري ، الإشبيلي ، فقيه مالكي ، من تصانيفه : أنوار البروق في تعقب مسائل القواعد

والفروق ، تحفة الرافض في علم الفرائض ، أنظر : الديباج المذهب : ص 226

12 . إدرار الشروق علي أنوار البروق : 209/3 ، مطبوع مع الفروق

13 . الخطاب خطابان : تكليف وهو خطاب الأمر والنهي ، وخطاب وضع وإخبار كالخطاب

بالصحة والفساد ووقوع الطلاق ولزوم الكفارة في الذمة ، انظر : أدب المفتي والمستفتي لأبي

عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرودي ، مكتبة العلوم والحكم ، عالم الكتب ، بيروت

، ط 1 ، 1401 هـ ، ج : 2 : ص : 479 .

14 . إدرار الشروق علي أنوار البروق : 209/3 .



والعوض عنه:

قيد لإخراج الإباحات في الضيافات ، فإن الضيافة مأذون فيها ، وليست مملوكة على الصحيح وكذلك لإخراج الاختصاصات بالمساجد والربط ومواضع المطاف والسكك ومقاعد الأسواق ، فإن هذه لملك فيها مع وجود المكنة الشرعية من الانتفاع بها.  
من حيث هو كذلك:

قيد لإدخال المحجور عليهم ، فإنهم وإن كان لهم الملك ، فليس لهم المكنة من التصرف في تلك الأعيان المملوكة.....إلا أن تملكهم لها يقتضى تمكنهم من الانتفاع بالمملوك، والمعاوضة عنه (15) .

" والاتجاه في هذا التعريف اتجاه مادي ، أو موضوعي ، حيث يبين أن الملك صفة تلحق بالشيء المملوك وليس صفة في المالك (16) " .

المجموعة الثانية :

عرف الملك على أساس أنه علاقة بين المالك والمملوك ، أو صفة تلحق المالك فهو صفة مشتركة بينهما لا يمكن إدراك أحدهما إلا بالآخر ويمكن أن نضع تعريف صدر الشريعة (17) ممثلاً لهذه المجموعة حيث قال في تعريف الملك إنه: " اتصال شرعي بين الإنسان وبين شيء يكون مطلقاً لتصرفه فيه، وحاجزاً عن تصرف غيره فيه " (18) ، وقد نقل الجرجاني(19) تعريف صدر الشريعة المذكور (20) .

فقد بين في تعريفه أن الملكية عبارة عن علاقة تقوم بين الإنسان والشيء المملوك . فهذا الاتصال الذي يقوم بين الإنسان وبين الشيء من شأنه أن يطلق تصرف المالك في الشيء ويمنع

15 . الفروق : 211/3 .

16 . الشاذلي : الاقتصاد الإسلامي : ص 122 .

17 . هو : عبيد الله بن مسعود الحنفي ، الملقب بصدر الشريعة الأصغر ، من فقهاء الحنفية ، كان أصولياً محدثاً ومفسراً ونحوياً ولغوياً ، أدبياً ومنطقياً ، له مؤلفات عديدة منها، التوضيح في حل غوامض التنقيح في أصول الفقه ، والوشاح في المعاني والبيان ، وشرح الوقاية في الفقه ، توفي رحمه الله سنة 747 هـ . انظر : مفتاح السعادة : 59 /2 ، 60 ، والأعلام : 197/4 ، والفتح المبين : 155/2 .

18 . شرح الوقاية في مسائل الهداية : 196/2 .

19 . هو علي بن محمد بن علي ( 740 – 816 هـ ) ، أبو الحسن ، المعروف بالسيد الشريف الجرجاني ، فقيه حنفي مشهور ، من مصنفاته التعريفات ، أنظر : الفتح المبين : 20،21/3 .

20 . التعريفات : ص 295 . دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط أولي ، تحقيق إبراهيم الأبياري .

الغير من التصرف فيه وهذا هو حقيقة معنى الاختصاص الذى يقوم عليه معنى الملك ، ونظرا إلى هذا المعنى فقد عرف كثير من العلماء المحدثين الملك بأنه اختصاص.... (21) .  
وجاء التعريف بقيد شرعى لإخراج اتصال غير شرعى بين انسان وبين شئ ما كعلاقة السارق بالمسروق والغاصب بالمغصوب ، وواضح من هذا التعريف إنه لا حظ إن الملك لا يمكن تصويره إلا بالشخص والشئ الذى اتصل به هذا الشئ ، فالملك اتصال بينهما أو علاقة بينهما يقتضى التصرف فى الشئ المملوك. (22)

المجموعة الثالثة:

تعريفهم للملك على أساس ذكر موضوعه ، نذكر تعريفا واحدا يمثل هذه المجموعة :  
فقد عرف الكمال بن الهمام (23) الملك بأنه : " قدرة يثبتها الشارع ابتداء على التصرف " (24) إلا لمانع " (25) وهذه الزيادة من ابن نجيم (26) .  
قدرة يثبتها الشارع:

تعريف الملك بأنه قدرة أو تمكن تعريف يظهر موضوع الملك وثمرته وهو القدرة على التصرف والتمكن من الانتفاع ، أى الغاية التى من أجلها شرع الحكم فالغاية من عقد الزواج هو حل الاستمتاع ، وكذلك العلة من عقد البيع هو نقل ملكية المبيع من البائع إلى المشتري بعوض

ابتداء على التصرف:

لما كان التصرف قد يحدث من الوكيل ؛ وهو ليس مالكا فلذلك جاء بهذا القيد ليخرج به الوكيل ؛ لأنه لا يتصرف ابتداء وأصالة ، وإنما يتصرف بتوكيل من المالك أو بتسليط من الشارع كالقاضي وأمثاله ، فالمراد بالقدرة قدرة مبتدأة لامستددة من شخص آخر.

21 . أنظر : الملكية ونظرية العقد لأبي زهرة : ص 61 ، 62 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، المدخل الفقهي العام للزرقا : 220/1 ، دار القلم ، دمشق .

22 الشاذلي : الاقتصاد الإسلامى : ص 122 .

23 . ابن الهمام ( 790 – 861 هـ ) هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد كمال الدين ، المشهور بابن الهمام ، كبير فقهاء الحنفية المحققين ، من مؤلفاته التحرير فى أصول الفقه ، وفتح القدير شرح الهداية ، أنظر : الأعلام : 135/7 .

24 . شرح فتح القدير : 248/6 ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية .

25 . الأشباه و النظائر مع غمز عيون البصائر لابن نجيم : 421/3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت

26 . ابن نجيم ( 926 – 970 هـ ) هو : زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن بكر . وابن نجيم اسم

لبعض أجداده ، فقيه أصولي ، من أهم مصنفاة : الأشباه والنظائر ، البحر الرائق شرح كنز

الدقائق ، مشكاة الأنوار ( فى أصول الفقه ) ، مختصر التحرير ، والفوائد الزينية ( فى الضوابط

والاستثناءات )

الإلزام:

وهذا قيد من ابن نجيم لإدخال ملكية المحجور عليهم ، مع أنه لا يجوز لهم أن يتصرفوا في أموالهم، ويمثل هذا المانع حق غيره، كما في المال المشترك والمال المرهون، فحق المرتهن والشريك يقيد التصرف ولكن لا ينافي الملك،

ويلاحظ على هذا التعريف أن الاتجاه فيه اتجاه شخصي بمعنى أنه يوضح أن الملك صفة تلحق بالمالك لا بالشئ المملوك ولكنه وصف متعلق والمملوك متعلقه (27)

نستخلص مما سبق بصدد تعريف الملكية أن تعريف الملكية يجب أن يشتمل على العناصر التالية ليكون تعريفا جامعاً مانعاً:

1. أن الملك اختصاص أو علاقة يختص بها الإنسان بشئ ما بإقرار الشارع الحكيم.

2. أن موضوع هذا الاختصاص هو القدرة على الانتفاع والتصرف بهذا الشئ.

3. أن الانتفاع والتصرف قد يحول دونهما مانع كفقده الأهلية أو نقصانها أو وجود حق للغير.

4. أن الانتفاع والتصرف قد يتم عن طريق الأصالة أو النيابة كالوكالة (28) .

وقد وردت تعريفات للملك لدى بعض العلماء المعاصرين فقد عرفه الأستاذ الزرقا بأنه: اختصاص حاجز شرعاً يسوغ صاحبه التصرف الإلزامي (29) .

ويقول الشيخ أبو زهرة ، " الملكية من العلاقة التي أقرها الشارع بين الإنسان والمال، وجعله مختصاً به، بحيث يتمكن من الانتفاع به بكل الطرق السانعة له شرعاً، وفي الحدود التي يبينها الشرع الحكيم " (30) .

وعرف الشيخ علي الخفيف الملكية بأنها: " اختصاص يمكن صاحبه شرعاً من أن يستبد بالتصرف والانتفاع عند عدم المانع الشرعي " (31) .

ويمكننا أن نعرف الملكية بأنها: سلطة يثبتها الشارع لشخص - سواء كان هذا الشخص طبيعياً أو اعتبارياً - على شئ ؛ تمكنه من التصرف فيه والانتفاع به ابتداءً الإلزامي شرعياً .

وإذا كانت الملكية سلطة شرعية تمكن صاحبها من استخدام الشئ المملوك - أرضاً أو سلعة أو حقاً - على النحو الذي يريده في إطار الاستخدامات المقبولة شرعاً ، وهذا الحق ينصرف إليه وحده دون غيره ، فقد تكون هذه السلطة الشرعية لاستخدام الموارد قاصرة على الدولة وممثليها ، أو يعترف بها للجماعة ، أو تكون للأفراد .

#### المطلب الثاني : أنواع الملكية في الفقه الإسلامي

تتنوع الملكية في الفقه الإسلامي إلى نوعين :

النوع الأول : الملكية الخاصة ( الفردية )

27 . الشاذلي : الاقتصاد الإسلامي : ص 123 .

28 . العبادي : الملكية في الشريعة الإسلامية : 150/1 ، الملكية ونظرية العقد لأبي زهرة : ص

71 .

29 . المدخل الفقهي العام : 220/1 .

30 . الملكية ونظرية العقد : ص 70 .

31 . الملكية في الشريعة الإسلامية : ص 150 .

الملكية الخاصة هي ما يملكه الأفراد بوسائل التملك المشروعة منها الإرث وعقود المبادلات والنماء الذي يحصل في الملك نفسه وثمر العمل أو الأجرة التي يحصل عليها العامل مقابل جهده ، وتشمل الملكية الخاصة كل الأموال الحلال من نقود وعروض قنية وعروض تجارة وأصول ثابتة ووسائل الانتاج التي لاتقع ضمن الملكية العامة المشتركة أو ملكية الدولة (32) .

النوع الثاني : الملكية العامة

أولا : معنى العامة في اللغة:

العام في اللغة : هو الشئ الشامل الذي لا يخص واحدا بعينه ، يقال : " عم الشيء عموما : شمل الجماعة " (33) وإذا وصف به أمر ما دل ذلك على شيوع ذلك الأمر وثبوت الحق فيه لجميع أفرادها ، كان نقول مصلحة عامة ، او فكرة عامة أو ملكية عامة ، وهكذا .

ثانيا : مفهوم الملكية العامة في الاصطلاح :

- مال الله تعالى المملوك لمجموع الأمة ، أو لجماعة منهم ، موضوعا في يد الدولة حارسة أو مالكة له ، بصفتها شخصا اعتباريا ، يتصرف فيما تحت يده للمصلحة العامة أو فيما حدد لهذا المال في شرع الله تعالى (34) .

وعرف الشيخ أبو زهرة الملكية العامة بأنها : " المال الذي يؤول إلى ملك الدولة أو يكون للدولة ولاية عليه أو ما يكون الثمرة فيه غير متكافئة في الذي ينتجه كالمعادن ، أو الأموال التي ترصد للمنافع العامة ولا يمكن أن تؤدي مقاصدها في ملكية خاصة كالمعابد والمدارس والمصالح والطرق ومجاري الأنهار وغير ذلك مما لا يؤتي نفعه إلا حيث يكون للجماعة " (35) .

ونستخلص مما سبق أن المراد بالملكية العامة كل ما يقابل الملكية الخاصة وهي تشتمل على كل ما دخل في ملك الناس عامة أو مجموعة منهم دون تخصيص وما دخل في ملك الدولة بصفتها القائمة على مصالح الناس ، وقد ينتفع الفرد مباشرة بهذه الملكية كما أنها تكون تحت تصرف الدولة لتستغل لصالح مجموع الأمة .

### المطلب الثالث : أقسام الملكية العامة في الفقه الإسلامي

تنقسم الملكية العامة باعتبار أحكامها وما خصصت له إلى قسمين:

القسم الأول: الملكية الجماعية ،

هي ملكية مشتركة بين مجموع أفراد الأمة دون أن يختص بها أحد منهم ، وذلك إما لكون نفعها ضروريا لمجموع الأمة ولا غنى لأفرادها عنها ، وإما لتجاوز المنفعة من هذه الأشياء على ما يبذل في سبيلها من جهد ونفقة .

<sup>32</sup> . انظر : الملكية في الشريعة الإسلامية : 243/1 وقيود الملكية الخاصة :ص105 ،

الاقتصاد الإسلامي : ص146 .

<sup>33</sup> . القاموس المحيط ، مادة ( ع م م ) .

<sup>34</sup> . د. أحمد غلوش، النظام الاقتصادي في الإسلام : ص89.

<sup>35</sup> . في المجتمع الإسلامي للشيخ أبي زهرة : ص 26-27 . ، دار الفكر العربي ، القاهرة

تشمل الملكية الجماعية المرافق العامة من أنهار وشوارع ومراعى وغابات وغيرها ،  
والمعادن المستقرة في الأرض بخلق الله تعالى ظاهرة وباطنة كالذهب والفضة والنحاس  
والحديد والبتروول ، والأراضي الموقوفة لمصلحة المسلمين كالأراضي التي فتحت عنوة ولم  
تقسم على الغنمين والأراضي الموات .

ومن هذا القسم الأموال الموجودة في يد الدولة إلا أنها خصصت لطائفة معينة من الناس  
كأموال الزكاة تكون في يد الدولة إلا أنها لمستحقيها ومال الوقف فإنه لمستحقيه ، ومال أصحاب  
الخمس من الغنائم فإنه من المال العام الموجودة في يد الدولة ، حارسه له ولا يجوز بيعه أو  
تمليكه (36) .

#### القسم الثاني: ملكية الدولة

ملكية الدولة هي الأموال التي تملكها الدولة بصفتها شخصا معنويا وتستعملها استعمال  
الأفراد لملكهم الخاص ؛ ولكن لأغراض مصلحة عامة ، ومن أمثلتها الأراضي الأميرية التي  
تقوم الدولة على زراعتها واستغلالها دون أن تخصص لمنفعة عامة ، والسلع الاقتصادية  
المملوكة للدولة المرتبطة بالمصلحة العامة كالمشروعات التي تؤسسها الدولة وتقوم بتأجيرها  
أو بيعها للاتفاق من عاندها على المصلحة العامة (37) .

الفرق بين الملكية الجماعية و ملكية الدولة :

الملكية في القسمين عامة إلا أن الفرق بينهما يظهر فيما يلي :

ملكية الدولة مملوكة لشخص معنوى هو الدولة ويجوز للإمام أن يتصرف في رقبته بصفته  
وفقا لما تمليه المصلحة العامة بالبيع والإيجار ونحوه ، وبناء على السلطات المخولة له شرعا

وأما ملكية الجماعة فهي مملوكة لجماعة المسلمين وعلى ذلك فإنه على الرغم من إدارة  
الدولة لهذه الملكية إلا أنه ليس لولى الأمر حق التصرف في رقبه هذه الملكية . (38) ولا يجوز  
للدولة أن تقطعها إقطاع تملك لأحد فهي موقوفة على المسلمين .

وفي الفقه الإسلامى نجد أيضا هذا التنوع للملكية العامة وإن كان الفقهاء لم يسموه بهذه  
التسمية، وذلك عند تمييزهم بين ما هو ملك لبيت المال، وبين ما هو ملك عام لمجموع أفراد  
الأمّة ، فما كان لبيت المال خالصا ، فهو ملكية للدولة ، وما كان لمجموع أفراد الأمّة فهو ملكية  
جماعية .

قال الشيخ تقي الدين السبكي : " ومما عظمت به البلوى ، اعتقاد بعض العوام ، أن  
أرض النهر ملك بيت المال ، وهذا أمر لا دليل عليه ، وإنما هو كالمعادن الظاهرة لا يجوز للإمام  
إقطاعها ولا تملكها بل هو أعظم من المعادن الظاهرة في ذلك المعنى.... والمعادن الظاهرة إنما

<sup>36</sup> . غلوش . النظام الاقتصادى في الإسلام : ص 90.

<sup>37</sup> . الملكية في الشريعة الإسلامية للشيخ علي الخفيف : ص 64 ، دار الفكر العربي ، القاهرة  
1416 هـ - 1996 م .

وغلوش . النظام الاقتصادى في الإسلام : ص 91.

<sup>38</sup> . د/ ربيع محمود الروبى: الملكية العامة في صدر الإسلام : ص 11 ، مركز صالح كامل  
للاقتصاد الإسلامى ، 1421 هـ - 2000 م .

امتنع تملك والإقطاع فيه لشبهها بالماء ، وبإجماع المسلمين على المنع من إقطاع الشارع الماء ، لاحتياج جميع الناس إليها، فكيف يباع ؟  
ثم يقول " ولو فتح هذا الباب لأدى إلى بعض الناس يشتري أنهار البلد لها ، ويمنع بقية الخلق عنها ، فينبغي أن يشهر هذا الحكم ليحذر من يقوم به كأننا من كان ، ويحمل الأمر على أنها مبقاة على الإباحة كالموات ، وإن الخلق كلهم مشتركون فيها ، وتفارق الموات في أنها لا تملك بالاحياء ، ولا تباع ولا تقطع ، وليس للسلطان تصرف فيها ، بل هو وغيره فيها سواء ، فإن وجدنا نهرا صغيرا بيد قوم مخصوصين مستولين عليه دون غيرهم فهو ملكهم ، يتصرفون فيه بما شاءوا، وإن لم يكن ملكا، ولكن فيه مشارب يقوم مخصوصين ، فحقوقهم على تلك المشارب يتصرفون فيها بالطريق الشرعي " (39) .  
والواقع أن هذا التقسيم أو التنويع، هو تقسيم أو تنويع واقعي مبني على اختلاف الأحكام بين النوعين ، لاختلاف طبيعة كل منهما ، لأن هناك أشياء لا تكون إلا ملكية عامة ، فلا يجوز التصرف فيها من جانب الدولة مطلقا ، لأنها أعدت للجماعة أصلا ، وهناك أشياء أخرى ليست للجماعة ، وهذه يجوز للدولة التصرف فيها بأنواع التصرفات كالبيع وغيره ، وذلك في حدود المصلحة العامة أيضا .

---

<sup>39</sup> . فتاوى السبكي 450/1، دار المعارف .

موقف الشيخ السيد ابي الحسن علي الندوي من الاستشراق والمستشرقين  
محمد لطف الرحمن الأزهرى (بنجلاديش)

الباحث بمرحلة الدكتوراه بقسم الفلسفة الإسلامية جامعة القاهرة-  
جمهورية مصر العربية

المدخل :

(1) تعريف الاستشراق :

(أ) المفهوم اللغوي :

كلمة استشرق قد تكون منحوتة من مادة " شرق " التي لها أصل في اللغة ، حيث يقال: شرقت الشمس شرقاً وشرقاً إذا طلعت ، وشرق المكان إذا أشرقت عليه الشمس (40).

هذا إذا نظرنا إلى علم الاشتقاق وقواعد الصرف ، لكننا لا نجد لهذه الكلمة ذكراً في معاجم اللغة القديمة (41)، وهذا يعني أن الكلمة ليست أصيلة بل هي مولدة عصرية ، أكدت على ذلك بعض المصادر اللغوية الحديثة تقول : استشرق أى طلب علوم الشرق ولغاتهم ، يقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجة (42)، وكما هي مولدة عصرية في اللغة العربية فهي كذلك في اللغة الأجنبية ، فقد ظهرت كلمة ( مستشرق ) في Orientlist ( مستشرق ) في إنجلترا سنة 1779م ، وكلمة Orientlist

في فرنسا سنة 1799م ثم أدرجت كلمة الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية في Diede Eceademie Franeese عام 1938م (43) .

(ب) المفهوم الاصطلاحي :

ذكرت تعريفات كثيرة لمصطلح الاستشراق ، تكاد تكون كلها متقاربة ، منها :

(1) ما ذكره الدكتور حمدي زقزوق من أن الاستشراق هو ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه ، وأدابه ولغاته وثقافته، لقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي؛ معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما (44) .

(40) المعجم الوسيط ، ج 1 ، ص 480 ، طبعة 1972 م ، مجمع اللغة العربية .

(41) راجع لسان العرب لابن منظور ، ج 1 ص 173 ، ومعجم مقاييس اللغة ج 3 ، ص 264 .

(42) المنجد في اللغة والأعلام ، مادة " شرق " ، ص 384 ، ط الثانية والعشرون ، ( بدون سنة الطبع ) ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان .

(43) تراث الإسلام ، شاخت وبوزورث ، ص 78 ، ج 1 ، الطبعة الثانية 1988م عالم المعرفة ، الكويت .

(44) " الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، للدكتور حمدي زقزوق (من سلسلة كتاب الأمة ) ، ص 18 ،

ط الأولى سنة 1404هـ .

(2) وقريب من هذا التعريف ما ذكره الأستاذ عمر فروخ ويبدو أنه أشمل مما سبقه يقول : إن الاستشراق هو اهتمام علماء الغرب بعلوم المسلمين وتاريخهم ولغاتهم ، وآدابهم وعلومهم ومعتقداتهم وأساطيرهم (45) .

(3) وهناك تعريف اقترحه الدكتور أحمد عبدالحميد غراب ورأى أن فيه شمولية ودقة عن أى تعريف آخر ، يقول فيه : " إن الاستشراق دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من أهل الكتاب للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب ، عقيدة وثقافة وشريعة وتاريخاً وتنظيماً ... بهدف تشويه الإسلام وتشكيك المسلمين فيه ... وفرض التبعية للغرب عليهم ، ومحاولة تبريرها عن طريق نظريات تدعى العلمية والموضوعية " (46) .

إن هذه التعريفات السابقة جعلت معيارها المنطقة التي تنبع منها الدراسات الاستشراقية التي يخرج منه الدراسون ، بينما رأى الأصوب عند بعض العلماء المحققين أن يكون المعيار خاصة في هذه الآونة المعاصرة هو الكتابة عن الإسلام والمسلمين عقيدة وشريعة وحضارة وتاريخاً ، فذلك سيكون أشمل وأوسع ، لأن الواقع يثبت الآن أن الاهتمام بهذه الدراسات اتسع فأصبح غير مقتصر على الغرب فحسب ، بل الشرق والغرب يكتب الآن عن الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً ومصدراً .. الخ .

نجد ذلك في اليابان والصين وكوريا والهند ودول جنوب شرق آسيا وأمثالهم ، ولا بأس من القول هنا بأن أغلب هذه الكتابات لا يقصد أصحابها إلا تحقيق الهدف نفسه الذى نشأ من أجله الاستشراق فى الغرب .

وبناءً على ذلك فالقول على أن الاستشراق خاص بالغربيين فقط ، وخاصة أهل الكتاب منهم كما أشار الدكتور " أحمد غراب " قول غير جامع ولا شامل (47) .

ونرى أن القول الأدق - من وجهة نظرنا - أن الاستشراق بالمفهوم الذى شاع بيننا الآن هو - كما يقول الدكتور على النملة - تصدى علماء غير مسلمين ، سواء أكانوا من الشرق أم الغرب ، وسواء أكانوا عرباً أم غير عرب ، لدراسة علوم المسلمين وحضارتهم ومعتقداتهم وتقاليد شعوبهم وعاداتهم ، سواء أكانت هذه الشعوب تقطن شرق البحر الأبيض المتوسط أم الجانب الجنوبى منه ، وسواء أكانت لغة هذه الشعوب العربية أم غير العربية ، كالتركية والفارسية والبنغالية والأردية والبشتو وغيرها من اللغات التى تتحدث بها شعوب المسلمين ، وكان لهم فيها آثار علمية؛ أخضعها المستشرقون للدراسة والتحليل .

وعليه فإن غير المسلم المشتغل بعلوم المسلمين يُعدُّ مستشرقاً عند الدكتور على النملة ، وذلك لأن المعيار هنا هو الكتابة عن الإسلام والمسلمين من قبل أولئك الذين لا يدينون

---

(45) مقال بعنوان : "الاستشراق فى نطاق العلم وفى نطاق السياسة" ، للأستاذ عمر فروخ فى كتاب : " الإسلام والمستشرقون "، تأليف نخبة من العلماء المسلمين ، ص 1215 ، 143 ، طبع دار المعرفة 1405هـ - 1985 ، جدة .

(46) رؤية إسلامية للاستشراق ، للدكتور أحمد عبدالحميد غراب ، ص 9 ، دار الأصالة للثقافة والنشر ، القاهرة .

(47) من اقتراءات المستشرقين على الأصول العقدية فى الإسلام للدكتور عبدالمنعم فؤاد، ص 16، 17، ط الأولى 1422هـ - 2001م، مكتبة العبيكان ، الرياض .



بالإسلام ، فتكون كتاباتهم موضع نظر ، وتخضع لشيء من الدراسة والتحليل (48) . غير أنه أدخل الكتابات التي يقوم بها غير المسلمين من العرب في التعريف ، وهؤلاء يمكن أن نعددهم – بتعبير متحفظ – من تلاميذ المستشرقين وليسوا من جملتهم ؛ لأنهم يقطنون معنا في البقاع العربية .

والسؤال الآن : متى بدأت الدراسات الاستشراقية حول الشرق عامة أو الإسلام خاصة وهو ما يعنينا في هذا المقام ؟

وللإجابة على هذا السؤال نحتاج إلى إلقاء نظرة على تاريخ الاستشراق وبدايته .

## (2) الانطلاقة لنشأة الاستشراق :

الذين يبحثون في نشأة الاستشراق يمرون بصعوبة تحديد زمن بعينه يمكن أن يقال عنه أنه بداية الانطلاقة الاستشراقية لأن الآراء تختلف بعضها مع بعض في هذا الموضوع ، إلا أن النفس تميل إلى الرأي القائل إن الاستشراق بدأ ينطلق من الأندلس في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، حيث اختلط المسلمين ، وكثرت البعثات الأوربية إلى مدارس الأندلس ، فرجعت هذه البعثات متأثرة بالثقافة الإسلامية ناقلة معها المنهج العلمي ، منبهة المسئولين هناك بأهمية مضارعة هذه النهضة العلمية (49) .

وما كان قبل هذه الحقبة من الوفود إلى الغرب والغزوات واللقاءات بين المسلمين والأمم الأخرى تعد من قبيل الإرهاص لها ، وما أتى بعدها يُعدُّ من قبيل تعميق الفكرة ، والتوسع فيها وشد الانتباه إليها، ويميل إلى هذا الرأي الدكتور مصطفى السباعي ، حيث يقول : " لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عنى بالدراسات الشرقية ، ولا في أي وقت كان ذلك ، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها ، وتثقفوا في مدارسها ، وترجموا معاني القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتعلموا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات (50) .

ويؤيد هذا الرأي أيضاً " خليل أحمد النظامي " الذي وزع الجهود العلمية التي بذلها المستشرقون في دراسة العلوم الإسلامية إلى خمس مراحل ، جعل المرحلة الأولى منها تبدأ عندما " نشأت في الغرب رغبة في الاطلاع على ما حققه الإسلام من مآثر حضارية ، حينما دخل العرب في أسبانيا وصقلية ، ولم يكن دخول العرب فيها فتحاً لدولة أو جزيرة فحسب ، بل إنه كان فتحاً لعهد جديد في مجال العلوم والفنون والحضارة والمدنية ، وقد بعث هذا الفتح – كما قال المستشرق الفرنسي " ماسينيون " ، يقظة حضارية في أوربا ، وفتح للغرب آفاقاً جديدة

---

(48) ظاهرة الاستشراق مناقشات في المفهوم والارتباطات ، للدكتور على بن إبراهيم الحمد النملة ، ص 21 ، ط الثانية ،

1424 هـ - 2003 ، الرياض .

(49) المرجع السابق 41 ، 42 .

(50) الاستشراق والمستشرقون ، ما لهم وما عليهم ، للدكتور مصطفى السباعي ، ص 17 ، 18 ، ط الأولى 1420 هـ -

1999م ، دار الوراق ، بيروت ، لبنان .

للتقدم والرقيّ ، وقد كان حب الاستفادة من علوم العرب وتفهم حقيقة دينهم باعثاً لدراسة شاملة للإسلام " (51) .

وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم ، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية ، وأخذت الأديرة والمدارس الغربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية – وهي لغة العلم في جميع بلاد أوربا يومئذ – واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون .

ولم يتقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية ، وترجموا معاني القرآن وبعض الكتب العربية العلمية والأدبية حتى جاء القرن الثامن عشر – وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته – فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق ، ويصدرون لذلك المجالات في جميع الممالك الغربية ، ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية ، فيشترونها من أصحابها الجهلة ، أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في نهاية الفوضى ، وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم ، وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوربا ، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلدًا ، وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم .

(3) دوافع الاستشراق وأهدافه كما يراها الشيخ الندوي :

ما الذي دفع مجموعة من أبناء الثقافات الأخرى إلى الاهتمام بالثقافة الإسلامية والعربية ؟ ولم يأت الاهتمام في البداية من الرهبان والقساوسة " القسس " ؟ فيشدون الرحال إلى ديار الإسلام يتعلمون اللغة العربية وينقلون تراث المسلمين معهم ثم يعودون إلى أديرتهم ؟ ولم بدأ تدريس اللغة العربية وعلوم الإسلام في الكنائس والأديرة (52) ؟ لأن الجامعات والمعاهد لم تقم في أوربا في ذلك الوقت ؟ أم لأن هناك باعثاً آخر وراء هذا الاهتمام بعلوم المسلمين (53) .

هذه جملة من التساؤلات تحدد مسار الدوافع التي حدثت ببعث ظاهرة الاستشراق منذ بدايته الأولى .

(أ) الدافع الديني :

حاول أن يقفوا الباحثون على الدوافع التي كانت وراء اهتمام المستشرقين باللغة العربية والعلوم الإسلامية ، فمنهم من وزع الدوافع إلى مجموعة غير يسيرة ، ومنهم من ركز على أن الدافع الرئيسي المباشر الذي دعا الأوربيين إلى الاستشراق هو سبب ديني في الدرجة الأولى ، فقد تركت الحرب الصليبية في نفوس الأوربيين ما تركت من آثار عميقة ، وجاءت حركة الإصلاح الديني المسيحي ، فشحع المسيحيون بروتستانت وكاثوليك ، بحاجة ضاغطة

(51) مقال للأستاذ خليل أحمد النظامي بعنوان " عهود متعددة لأفكار المستشرقين ونظرياتهم في كتاب " الإسلام والمستشرقون " ،

تأليف نخبة من العلماء المسلمين ، ص 103 – 124

(52) الاستشراق : نشأته وأهدافه ، حسن ضياء الدين عتر ، ص 23 – 59 ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة

المكرمة – السنة الخامسة ، العدد الخامس ، 1400هـ – 1401هـ .

(53) ظاهرة الاستشراق مرجع سابق ص 45 – 46 .

لإعادة النظر فى شروح كتبهم الدينية ، ولمحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التى تمخضت عنها حركة الإصلاح ، ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية ، وهذه أدت بهم إلى الدراسات العربية فالإسلامية ، لأن الأخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى وخاصة ما كان منها متعلقاً بالجانب اللغوى ، وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت أدياناً ولغات وثقافات غير الإسلام وغير العربية (54).

ومن جهة أخرى رغب المسيحيون فى " التبشير " بدينهم بين المسلمين ، فاقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامى ، والتقت مصلحة المبشرين مع أهداف المستعمرين فمكّن لهم واعتمد عليهم فى بسط قاعدة الاستعمار الغربى فى الشرق (55).

وإلى هذا العامل الدينى يشير العلامة الندوى بقوله : " أما العامل الدينى فهو يهدف إلى نشر الديانة المسيحية وتبليغ دعوتها، وتصوير الإسلام تصويراً يثبت فضل المسيحية ورجحانها على الإسلام ، ويبعث فى الطبقة المثقفة إعجاباً وحرصاً عليها ، ولذلك نرى أن الاستشراق و " التبشير " يسيران معاً فى أغلب الأحوال وأن عدد المستشرقين الأكبر أساقفة ، وعدداً كبيراً منهم يهود ديانة وجنساً (56) .

- إن الدافع الدينى الصليبي والصهيونى للاستشراق لا يحتاج إثباته إلى جهد واستنتاج ، لأن أكثر هؤلاء المستشرقين من الرهبان والقسس والعاملين فى حقل التنصير ، وقد ظن بعض هؤلاء أن بإمكانهم تحويل المسلمين إلى النصرانية ، ظانين أن البناء الثقافى للإسلام بناء ضعيف ، وهم وإن فشلوا فشلاً ذريعاً فى تحقيق هذا الغرض ، ولكنهم قد نجحوا فى تعكير صفاء الفكر الإسلامى الحديث بما نشره من افتراءات فاضحة ، وما شغلوا المسلمين به من شبهات لا تصمد أمام البحث العلمى النزىه ، مستغلين ظروف تخلف المسلمين الفكرى ، وانبهار بعضهم ببعض منجزات الحضارة الأوربية (57) .

& فى ضوء ما سبق يمكننا أن نلخص الأهداف الدينية للاستشراق فيما يلى :

1- إن القرآن الكريم يتهم كتاب اليهود والنصارى بالتحريف ، ويؤكد تدخل البشر فى نصوص التوراة والإنجيل ، فاتجه علماء من الغرب إلى الإسلام - ليس رغبة فى اعتناقه بل قصداً إلى قصره على تعاليم جاءت من محمد - صلى الله عليه وسلم - ،

(54) المرجع السابق ، ص 46 .

(55) المستشرقون اليهود أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية ، وهى محاولة إضعاف الإسلام وتشويهه والتشكيك ،

فى قيمة باثبات فضل اليهودية عليه ، وادعاء أن اليهودية هى مصدر الإسلام الأول . الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ص 183 .

(56) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ص 183 .

(57) العقل المسلم فى مرحلة الصراع الفكرى ، للدكتور عبدالحليم عويس ، ص 17 ، ط الثانية (معدلة) 1420هـ - 1999م ،

دار الصحوة، ودار الوفاء، القاهرة

وأن ما هو صحيح من هذه التعاليم إنما هو مستمد من التوراة أو الإنجيل ، وأن محمدًا - صلى الله عليه وسلم - كان على اتصال مباشر بالأحبار والرهبان يتلقى منهم ويتلمذ عليهم (58) .

2- إن الاستشراق كان محاولة لصد الشعوب الأخرى عن الدخول في الإسلام ، بالإيحاء بأن تعاليم الإسلام إنما هي سبب في رجوع المسلمين إلى النور ، وارتباط التخلف لدى الشرقيين - بتمسكهم بالإسلام ، وارتباط التقدم لدى الغربيين بتمسكهم " بالنصرانية (59) .

3- إن الاستشراق قد حاول إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام ، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم ، وبث الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها عن بعض (60) .

4- إن الاستشراق قد عمد إلى التركيز على مواطن الضعف في التاريخ الإسلامي ، كما عمد إلى الروايات المغلوطة والمكذوبة مداراً للنقاش والحديث عن الإسلام ، يقول الشيخ الندوي: " فنرى كثيراً من المستشرقين يركزون كل جهودهم ومساعدتهم على تعريف مواطن الضعف في تاريخ الإسلام ومجتمعه ومدنيته ، حتى في دياناته وشريعته كما يزعمون ، وتمثيلها في صورة مروعة مضخمة ، إنهم ينظرون إليها عن طريق " المجهر " ( MICROSCOPE ) ويعرضونها كذلك للقراء حتى يروا الذرة جبالاً والنقطة بحراً ، وقد ظهرت حذاقتهم وذكاؤهم في كثير من الكتابات في تشويه صورة الإسلام ، ويثيرون بذلك في قلوب قادة العالم الإسلامي اليوم وزعمائه - ممن تتقفوا في مراكز الغرب الثقافية الكبرى ، أو درسوا الإسلام بلغات الغرب - شبهات حول الإسلام والمصادر الإسلامية ، ويحدثون في نفوسهم بأساً على مستقبل الإسلام ، ومقتناً على حاضره ، وسوء ظن بماضيه، حتى يتركز نشاطهم وحماسهم في رفع هتاف " تطوير الدين " و " إصلاح القانون الإسلامي " (61).

(ب) الدافع الاستعماري :

استغل فريق من المستشرقين هذا المجال مدفوعين من قبل حكوماتهم التي دعتهم إلى معاونتها في استعمار الشرق ، " وذلك لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية ، لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال

(58) المستشرقون والإسلام ، للأستاذ إبراهيم اللبان ، مجمع البحوث الإسلامية ، 1390 هـ - 1970 م - القاهرة .

(59) الإسلام والاستشراق ، للدكتور محمود حمدي زقزوق ، ص 19 ، 1404 هـ - 1984 ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

(60) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، ص 22 .

(61) الإسلام والمستشرقون ، الشيخ أبو الحسن الندوي ، ص 18 ، 19 ، ( بدون تاريخ ) ، المجمع الإسلامي العلمي ندوة العلماء ، الهند .

بلاد العرب فبلاد الإسلام" (62)، فكان المستشرقون عوناً لهم مخلصين في تقديم المعلومات والاستشارات والنصح التي احتاجوا إليها .

ولا يبعد أن يجمع المستشرقون بين هدفين في آن واحد ؛ فيكون الغرض التنصير كما يكون الغرض الاستعمار .

وهكذا نشأت هناك رابطة رسمية وثيقة بين الاستشراق والاستعمار ، وانساق في هذا

التيار

عدد من المستشرقين ارتضوا لأنفسهم أن يكون علمهم وسيلة لإذلال المسلمين وإضعاف شأن الإسلام وقيمه (63) " وإضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسهم وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم ، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوع المسلمين لحضارتهم وثقافتهم خضوعاً لا تقوم لهم من بعده قائمة " (64).

(ج) الدافع التجاري :

والشرق غنى بموارده الاقتصادية " الخام " ، فقصده الغرب سعياً وراء الحصول على هذه الخامات وتصنيعها والإفادة منها ، ثم تصديرها إلى الشرق مرة أخرى ، فكانت الدراسات الجغرافية ومحاولات الاستكشاف ، وكانت الدراسات الثقافية والاجتماعية وغيرها من الدراسات التي دفعت إليها الحاجة إلى استغلال الموارد الطبيعية لهذه البقعة من العالم ، فاتجه التجار وأرباب الاقتصاد إلى المستشرقين يبعثونهم إلى الشرق ويستعينون بهم في طرق أبوابه ، فخدم الاستشراق الناحية الاقتصادية خدمة غير يسيرة ، وساعد مساعدة بارزة على النهضة الصناعية التي عاشتها البلاد الأوربية بعد عصر النهضة .

إضافة إلى هذا يرى الشيخ الندوى أن هناك عاملاً اقتصادياً آخر للاستشراق يتخذه كثير من المثقفين كمهنة ناجحة ، وكثير من أصحاب المكتبات التجارية والقائمين عليها ، يشجعون نشر المؤلفات والكتب التي تدور حول الإسلاميات والشرقيات ويشرفون على نشرها لما يرون لها من سوق نافقة في أوروبا وآسيا ، وتنال هذه المؤلفات من القبول والإعجاب ما يجعلها عظيمة الانتشار كثيرة الذبوع ، وهي لا شك وسيلة لتجارة رابحة (65) .

(د) الدافع السياسي :

ويرتبط الدافع السياسي بالدافع الاستعماري ، وإن كان الدافع الاستعماري قد توقف مع التوقف الفعلي للاستعمار بالطريقة التي كان عليها ، إلا أن الدافع السياسي للاستشراق لا يزال قائماً ، ولا يزال رؤساء الدول وحكوماتها تستعين بالمستشرقين في رسم سياساتها نحو البلاد الإسلامية وغيرها من بلاد الشرق (66) .

(62) الاستشراق والمستشرقون ، ص 22 .

(63) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، للدكتور محمود حمدي زقزوق ، ص 156 ( سلسلة كتاب الأمة 5 )

الدوحة : رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في دولة قطر ، 1405 هـ .

(64) الاستشراق والمستشرقون ، ص 22 .

(65) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ص 184 .

(66) ظاهرة الاستشراق ، ص 53 .

يتحدث الشيخ الندوى عن هذا الدافع السياسى وهدفه فيقول: " إن المستشرقين بصفة عامة كانوا رواد الدول الغربية فى الشرق، ومن واجبهم أن يمدوها بمدد العلمى وكانوا مصادر وثيقة لغرب يطلع بها على تفاصيل ومعلومات عن تقاليد الشعوب الشرقية وبلدان الشرق، وعن طبيعتها ومعيشتها، ولغاتها وآدابها، حتى عواطفها ونفسياتها، وذلك ليتسنى للغرب أن يبسط نفوذه وسلطته فى الشرق " (67).

إن هذا الغرض " يتجلى فى عصرنا الحاضر، بعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية، ففى كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافى يحسن اللغة العربية؛ ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة، فيتعرف إلى أفكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته " (68).

(هـ) الدافع العلمى:

ومن المستشرقين نفر قليل أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الإطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغاتها.

ويمكننا أن نوزع الهدف العلمى للاستشراق على نوعين: هدف علمى مشبوه، وهدف علمى نزيه خالص، فالهدف العلمى المشبوه - بدون شك - كان إمتداداً للأهداف السابقة، ولكنه تبطن بالعلمية، ولم يبدُ عليه طغيان هدف آخر، ولم يبد على أصحابه إنخراطهم المباشر فى هيئات أو مؤسسات دينية أو استعمارية أو سياسية أو تجارية، " فالتشكيك بصحة رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنكار أن يكون القرآن منزلاً من الله تعالى، والإدعاء ببشرية القرآن، وإنكار أن يكون الإسلام ديناً من عند الله تعالى، والدعوة إلى فصل الدين عن السياسة، وأن الإسلام دين لا دولة، والدعوة العلمانية، والتشكيك فى مصادر العربية الأولى، والتشكيك فى صحة حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتشكيك بقيمة الفقه الإسلامى وأصالته الإسلامية، والتشكيك فى قدرة اللغة العربية على مسايرة العصور والتطورات العلمية، والدعوة إلى العامية والتأليف فيها، والدعوة إلى إحياء الحضارات السابقة على الإسلام، والدعوة إلى القومية والاشتراكية المادية - والشبوعية الماركسية أحياناً - فى العصر الأخير وغيرها - إنما هى إمتداد لمحاولة إشعار المسلمين ببطلان ما هم عليه، ومن ثم البحث عن بديل يكون جاهزاً فى النصرانية أو اليهودية أو بهما معاً، ينقله لهم الاستعمار وتؤيده السياسة " (69).

أما الهدف العلمى النزيه الخالص فقد تحقق على يد نفر من المستشرقين، دفعهم حب الاستطلاع والانبهار بالمد الإسلامى وبتعاليم الإسلام وواقعيته إلى أن يبحثوا فيه، ويكتبوا عنه متجردين من الهوى والأغراض.

والى هذا الهدف العلمى النزيه الخالص يشير الشيخ الندوى معترفاً بجهود المستشرقين العلمية الموضوعية بقوله " أعترف بكل وضوح وصراحة أن عدداً من المستشرقين كرسوا حياتهم وطاقتهم على دراسة العلوم الإسلامية، وتبنوا موضوع الشرقيات

(67) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص 183.

(68) الاستشراق والمستشرقون، ص 24.

(69) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار الإسلامية، ص 106 - 107.

والإسلاميات بدون تأثير عوامل سياسية واقتصادية أو دينية ، بل لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم ، وبذلوا فيه جهوداً ضخمة " (70).

والجدير بالذكر في هذا المجال – أن هذه الطائفة القليلة من المستشرقين الذين أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الإطلاع على العلوم الإسلامية ، فهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه ، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف ، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين (71).

(4) اعتراف الشيخ بفضل جهود المستشرقين في خدمة التراث :

إن مفهوم الاستشراق قد أخذ مفهوماً اصطلاحياً ارتبط بالكتابة عن الإسلام والمسلمين من منطلقات لم تكن بالضرورة إيجابية مع الإسلام والمسلمين ، فهذه النظرة " السلبية " لظاهرة الاستشراق حجبت عن العيون والأذهان الجوانب " الإيجابية " للاستشراق في خدمة التراث .

وغنى عن البيان أن هذا الموقف السلبي – في نظر الشيخ الندوى – لا يتوافق مع النظرة الإسلامية للحكمة بغض النظر عن مصدرها البشرى والجغرافى والزمانى، " فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها "، بل إن العدل في الحكم على الأشياء والأشخاص مطلب شرعى (72).

والحقيقة – أن كلا من الإفراط والتفريط في المدح والذم عليهم يتنافى مع الحقيقة التاريخية التى سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من أعمال ، وما تطرقوا إليه من أبحاث ، بل " وإن أكثر ما تتنافى – كما يقول الشيخ الندوى – معه هذه القسوة ونكران الجميل ، وجحود الحق والفضل ؛ تتنافى مع تعاليم القرآن وآداب الإسلام (73) " ونحن من قوم يأمرهم كتابهم بالعدل حتى مع أعدائهم ، فالقرآن يقول : [ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعلمون ] (74) .

ويقول : [ وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ] . (75) .

وهذا يعنى بالضرورة أن الاستشراق قد أسهم إسهاماً جيداً في خدمة التراث ، مهما حاول بعض الباحثين والمفكرين التقليل من هذه الإسهامات ، لاسيما فيما يتعلق بحفظ المخطوطات وتصنيفها وتحقيقها ونشرها ، والقيام ببعض الدراسات والترجمات حولها .

(70) الإسلام والمستشرقون ، ص 13 ، 41 .

(71) الاستشراق والمستشرقون ، ص 25 .

(72) المستشرقون ونشر التراث دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر، للدكتور على بن إبراهيم الحمد النملة ، ص 15-16 ،

ط الأولى ، موسوعة الدراسات الاستشراقية ، الرياض 1424هـ – 2003م .

(73) الإسلام والمستشرقون ، ص 12 .

(74) سورة المائدة : الآية : 8 .

(75) سورة الرحمن ، الآية : 9 .

فلهذا يقول الشيخ الندوى مادحاً جهودهم فى خدمة التراث ومعتزفاً بفضلهم : " إنه لمن المكابرة والتقصير أن لا ينطلق اللسان بمدحها والثناء عليها ، فبفضل جهودهم هذه برز كثير من نوادر العلم والمعارف التى لم تر ضوء الشمس منذ قرون إلى النشر والإذاعة ، وأصبحت مصونة من الوراثة الجاهلين ، وعاهة الأرضة ، وكم من مصادر علمية ووثائق تاريخية، لها مكانتها وقيمتها صدرت لأول مرة بفضل جهودهم وهمتهم ، وقرت بها عيون العلماء فى الشرق " (76) .

ويضرب الشيخ الندوى أسماء بعض المستشرقين - على سبيل المثال لا الحصر - منهم - البروفيسور ت - و أرنلد T,Warnolod صاحب الكتاب القيم The Preaching of Islam

( الدعوة إلى الإسلام ) ، واستانلى لين بول Stanley Lane -poole صاحب كتاب SALADIN (صلاح الدين الأيوبي) و Moors in Spain (العرب فى الأندلس) ، والدكتور اسبرنجر Dr.Alays Sprenger صاحب المقدمة الإنجليزية النفيسة لكتاب " الإصابة فى تمييز الصحابة " لابن حجر العسقلانى " طبع المجمع الآسيوى الملكى بملكته ....

وهذه المؤلفات التى تم ذكرها آنفاً تدل - فى رأى الشيخ الندوى - على عناء المؤلفين ودراساتهم المضمّنة المخلصة للموضوع ، المتجردة - فى أغلب الأحوال - عن العصبية الدينية ومجانبة الحق (77).

(5) منهج المستشرقين فى دراسة العلوم الإسلامية لتشويه صورة الإسلام كما يراه الشيخ الندوى :

وكما لا يخفى فهناك فئة كبيرة من المستشرقين كان همهم إخضاع الشعوب الإسلامية ، وتشويه الإسلام فى نفوس أصحابه ، وقد تعرض الشيخ الندوى لهذه الفئة ليكشف الأعياب ويبين زيفها .

وبداية فإننا نعى بالمنهج الاستشراقى السبيل الذى سلكه المستشرقون للوصول إلى ما وصلوا إليه من آراء ومدى مطابقتها لقواعد المنهج العلمى السليم الذى لا تختص به أمة عن أخرى ولا علاقة له بدين أو شريعة منزلة .

ومن المعلوم أنه لا يخفى على مسلم واع مدى خطر الاستشراق المغرض على الفكر الإسلامى ولم يبق من محاسنهم إلا " الدور الذى قاموا به فى تحقيق التراث الإسلامى " . ولا ريب أن الاستشراق يعمل على إيجاد حصيلة واسعة من مفاهيم الإسلام بدأها بترجمة القرآن، والحديث النبوى، وبعض الكتب المعروفة ، والهدف هو إحكام الرد على ما فى هذه من قضايا معارضة للمسيحية من ناحية أو معارضة للنفوذ الأجنبى من ناحية أخرى ، والحقيقة أن هذه الأعمال لم تكن خاصة لوجه العلم ، وهى بالرغم من ضآلتها بالنسبة لعمل الاستشراق الواسع فى ابتعاث كتب التراث المتصلة بالفلسفة والتصوف الفلسفى والفرق المتصارعة والباطنية

(76) الإسلام والمستشرقون ، ص 14 .

(77) المرجع السابق ، ص 14 ، 15 وما بعدها .



وغيرها ، فإنها عمل مشكور لهم ، ولكنه لا يشكل ظاهرة يمكن أن تحول دون الغرض الحقيقي للاستشراق (78) .

من هنا كانت المآخذ المنهجية على كتابات وأبحاث المستشرقين، ويستطرد الشيخ الندوى فى بيان المدخل والطرق التى يسلكها المستشرقون فى تثبيت شبهاتهم حول الإسلام ، والتى يمكننا إجمالها كالاتى :

(1) دأب كثير من المستشرقين على أنهم يعينون لهم غاية ويقررون فى أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم يقومون لتحقيقها يجمع معلومات – من كل رطب ويابس – ليس لها أى علاقة بالموضوع ، ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا فى أذهانهم (79).

(2) إنهم فى أغلب الأحيان يذكرون عيباً واحداً ويضخمونه لتمكينه فى النفوس، ثم يقومون بذكر عشر محاسن ليست لها أهمية كبيرة ، وذلك كى يقف القارئ خاشعاً مؤدباً أمام سعة قلوبهم وسماحتهم ، ويقنع بذلك العيب الواحد الذى يكفى لطمس جميع المحاسن .

(3) إنهم يصورون الشخصية المراد تشويهها وبينتها الدعوية ، ويذكرون تاريخها وعواملها الطبيعية بلباقة وبلاغة ، تصوران أن هذه الدعوة والشخصية لم تكونا إلا نتاج هذه البيئة أو العوامل ورد فعلها الطبيعى ، وهذا كان شأنهم فى تصوير العصر الجاهلى ، والجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية . بما يوحي أن ظهور الرسول والرسالة كان نتاجاً طبيعياً لتطور البيئة وليس وحياً منزلاً.

(4) وكثير من هؤلاء المستشرقين يدسون فى كتاباتهم مقداراً خاصاً من " السمّ " ، ويحترسون فى ذلك، فلا يزيد على النسبة المعينة لديهم ، حتى لا يستوحش القارئ ولا يثير ذلك فيه الحذر ، ولا يضعف ثقته فى نزاهة المؤلف (80) .

(5) لقد قام المستشرقون بعملية التحقيق- كما تقدم ذكره – فى كل موضوع من مواضيع الكتاب والسنة والسير النبوية ، والفقهاء والكلام ، كما تحدثوا عن الصحابة الكرام والتابعين والأئمة المجتهدين ، والمحدثين والفقهاء ، والمشايخ والصوفية ، رواة الحديث ، وعن فن الجرح والتعديل ، وأسماء الرجال ، وحجية السنة وتدوينها ، ومصادر الفقه الإسلامى ، وتطوره فى أسلوب لا يخلو عن التشكيك وإثارة الشبهات ، ويكفى لزعة العقيدة والترغيب عن الإسلام لرجل ذكى ليس له نظر عميق فى هذا الموضوع .. (81).

وبالجملة فإن المنهج الذى اتبعه المستشرقون فى دراسة الإسلام لا يخلو من أهدافهم المتعددة فى تشويه صورة الإسلام وتغيير أهل أوروبا منه ، وإنشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الفكر الإسلامى ، والهدف هو تحطيم قوة التماسك التى يتميز بها الإسلام أو إضعاف هذه القوة ، ومحاولة تصوير الإسلام وكأنه مسألة شخصية كما هو عليه الحال فى مسيحيتهم

(78) معلمة الإسلام ، للأستاذ أنور الجندى ، ج:2، ص 153 ، ط – الأولى ، 1411 هـ - 1991م دار الصحوة ، القاهرة .

(79) الإسلام والمستشرقون ، ص 19 .

(80) المرجع السابق ، ص 19 – 20 .

(81) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ص 186 .

المحرفة، والهدف من ذلك هو تشويه الحقيقة وكسر بناء الإسلام العقدي والتشريعي المتناسك ، ومرجع هذا إلى عمق التعصب والكرهية الدفينة للإسلام (82) .

من أجل ذلك " فإن كتابات هؤلاء - في نظر الشيخ الندوي - أشد خطراً على القارئ من كتابات المؤلفين الذين يكشفون العدا ، ويشحنون كتبهم بالكذب والافتراء ، ويصعب على رجل متوسط في عقلية أن يخرج منها ، أو ينتهي في قراءتها دون الخضوع لها " (83) .

وعن طريق هذه المناهج فرض المستشرقون سيطرتهم على الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الغربية ، وقد فرضوا على الطلاب العرب والمسلمين الموضوعات والمنهج ، ورفضوا رسائلهم التي حملت فكرهم المستقل ، كذلك فقد فرضوا فكرهم على الجامعات العربية والإسلامية عن طريق محاضراتهم ودائرة المعارف الإسلامية والمجلات ، ومن خلال ذلك كله نجح الاستشراق في أن ينتج نماذج من المسلمين الذين ينظرون إلى دينهم وتاريخهم من خلال عيون الغرب ، وقد قام مؤرخو الغرب بتحريف الحقائق أو انتقاء ما يتفق مع أهوائهم ، حتى نجحوا في إقناع الكثيرين من المسلمين أيضاً بأن الأديان لم تعد أساساً كافياً لقيام حضارة حديثة متطورة تكنولوجياً (84) .

وقد بسط المستشرقون سيطرتهم المشبوهة هذه على الأوساط العلمية والجامعات الشرقية ، وهذا دليل واضح على ضعف العالم الإسلامي والعربي - كما يقول الشيخ - وفقر وسائلها العلمية، لأن بعض المتصدرين في هذين العالمين كليهما يعتمدون على مؤلفات المستشرقين في المواضيع الإسلامية الخالصة منذ زمن بعيد (85).

إن اعتماد الأوساط العلمية والجامعات الشرقية على مؤلفات المستشرقين لا يدل على عدم استقلال الفكر الإسلامي ، وأنه عالية على عاتق المستشرقين ، لأن الفكر الإسلامي له كيانه المستقل وله ذاتيته الخاصة به ، وإنما يدل على ضعف القائمين على العملية التعليمية ، وضيق أفقهم تتبين هذه الحقيقة من خلال السطور الآتية :

#### (6) أصالة الثقافة الإسلامية ( الاحتفاظ بأصالة التراث طريق التقدم ) :

لكل أمة تراث ، هو عصارة فكرها وعقائدها ، وحصيلة جهدها العقلي والروحي ، والتراث الإسلامي هو بمثابة الجهد البشري في تفسير الموروث الإسلامي الذي جاء به الوحي ممثلاً في القرآن والسنة الشريفة (86) .

إن هذا القرآن والسنة وما يتصل بهما من تراث أصيل يقوم على أساس مفهوم أهل السنة والجماعة هو الركيزة الحقيقية لإعادة بناء الأمة الإسلامية على مفهوم الإسلام الصحيح بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع (87).

(82) التأصيل الإسلامي والخروج من التبعية ( رسائل إلى الشباب المسلم رقم 10 )، للأستاذ أنور الجندي ، ص: 99 ،

ط الأولى 1416هـ - 1995م. دار الصحوه القاهرة .

(83) الإسلام والمستشرقون ، ص: 21 .

(84) التأصيل الإسلامي والخروج من التبعية ، ص 85 .

(85) الإسلام والمستشرقون ، ص: 21 .

(86) معلمة الإسلام ، ج 1، ص 465 .

لقد قطعت الأصالة الإسلامية للتراث مرحلة واسعة في سبيل تأكيد وجودها بعد أن استطاعت حركة اليقظة الإسلامية في السنوات الخمسين الأخيرة أن تكشف كثيراً من الزيوف التي طرحتها محاولات الغزو الثقافي والتغريب عن طريق أجهزتها المسيطرة المتعددة كالاستشراق والتبشير في مجال التعليم والصحافة والثقافة مستمدة قوتها من مصادرها الأصلية التي حمل لواءها الإمام أحمد بن حنبل والإمام ابن تيمية والإمام ابن القيم (88) ، وغيرهم .

ففي ضوء الميراث الإسلامي الممثل في الوحي المتلو أي القرآن الكريم والوحي الغير المتلو أي السنة النبوية ، بدأ المسلمون صناعة الفكر الإسلامي الذي نسميه الآن " التراث " ، وقد جرى هذا العمل في ميادين مختلفة على نحو محكم بارع ، وفي ضوء منهج الإسلام الأصيل الخاص في المعرفة .

ولا شك أن حركات الاستشراق والتغريب تعرف جيداً عظمة هذا التراث ومدى ما يحتويه من كنوز من شأنها - إذا عاد إليها المسلمون وصاغوها في أسلوب العصر وطبقوها في حياتهم- أن تدفعهم إلى ذروة النهضة والقوة والتمكين في الأرض ، وهم لذلك يحاولون أن يعزلوا المسلمين عن ماضيهم وتراثهم ومقوماتهم ويسعون لإفساد التراث الإسلامي وتزييفه ومن ثم يصورونه بصورة التخلف والتأخر ويرمونه باتهامات وشبهات في محاولة لهدمه ، وخلق الكراهية والاحتقار له في نفوس الأجيال الجديدة (89) .

والمعروف أن حركة الاستشراق التي سارت في فلك الاستعمار والنفوذ الأجنبي كانت قد أولت إهتماماً كبيراً للتراث الإسلامي واستطاعت أن تحصل على كميات ضخمة من مخطوطاته من العالم الإسلامي والعربي وأودعتها مكتباتها في باريس ولندن وبرلين وليدن وغيرها من العواصم الأوروبية ، وأنها حاولت منها أن تقود مسيرة الفكر الإسلامي فتبرز جوانب معينة من هذا التراث وتغفل جوانب أخرى ، وتبحث عن النصوص المبتورة والروايات المضطربة والمواقف المبهمة ثم تذيبها وأن تعلى من شأن الحاقدين على الإسلام، ويهتم الاستشراق بالتراث الفلسفي المضطرب سواء في التصوف أم علم الكلام أو الإلهيات ، ليثبت أن المسلمين كانوا تابعين للفكر اليوناني القديم وكانوا خارجين على أصول الإسلام .

ولم يتوقف الأمر عند إثارة الشبهات حول التراث نفسه بل اتجهت القوى التغريبية إلى إعادة كتابة التراث على نحو يخرج عن عطائه الصحيح ويضيف مضامينه ووجهته (90) .

لذلك فلو لم ينظر المسلمون في تراثهم وإلى دورهم في مجال العلم والمعرفة والتجريب ، لما عرفوا قدر تخلفهم اليوم في هذا المجال ، ولا يمكن لنهضة أن تتحرك من غير أن يكون لها إطار يحفظ لها أصالتها وقيمتها وكيانها ويعطيها الضوء للحركة إلى الأمام (91) .

(87) عيون التراث وذخائر التاريخ ، ( رسائل إلى الشباب المسلم (9) ) ، للأستاذ أنور الجندي ، ص 37 ، ط الأولى ، 1415 هـ - 1994 م ،

(88) معلمة الإسلام ، ج 1 ، ص: 340 .

(89) المرجع السابق ، ج: 1 ، ص 471 - 472 .

(90) معلمة الإسلام ، ج 1 ، ص 475 .

(91) المرجع السابق ، ص 479 .

من هنا لابد للأمة الإسلامية - كما يؤكد الشيخ - أن تعرف قيمة تراثها وأن تؤمن بذاتها ومصدر قوتها وأن تعتمد على نفسها لتأصيل التراث الإسلامي ولسد تأثير المستشرقين السلبي وإصلاح هذا الفساد .

(7) أساليب مقاومة مؤامرة الاستشراق في نظر الشيخ الندوى :

يرى الشيخ الندوى أنه لا أمل في تنقية نهر فكرنا الإسلامى الأصيل وحضارتنا العريقة من الجراثيم الطفيليات - كى تصبح المياه صافية تجلب الحياة لا الموت - إلا بالقضاء على هذه الطفيليات ، وذلك بالطريقتين : أولهما : العمل الإيجابى البناء ، وثانيهما : النقد العلمى النزيه .

\* فالعمل الإيجابى البناء يتمثل فيما يلى :

(1) لابد من الاكتفاء الذاتى فى البحث والتأليف بالدراسات التحليلية، ولتحقيق هذا الغرض يجب أن يقوم علماء الإسلام ورجال البحث والتفكير بالكتابة حول الموضوعات العلمية ، ويقدموا للعالم الإسلامى المعلومات المؤكدة ، ووجهة نظر الإسلام الصحيحة ، مع مراعاة الجوانب المحمودة التى يمتاز بها المستشرقون بل الزيادة عليها (92) .

(2) يجب أن تكون كتاباتهم ومؤلفاتهم ممتازة من حيث أصالة التحقيق وسعة الدراسة وعمق النظر والتأكد من المصادر وصحتها ، واستدلالها القوى بالنسبة لكتابات المستشرقين ومؤلفاتهم (93) .

(3) تقديم رسائل وأبحاث علمية عن الإسلام وثقافته وحضارته باللغات الأوروبية تصلح لمخاطبة العقل الأوروبى (94) .

(4) يجب على البارعين فى اللغات الأوربية من أبناء الإسلام أن يجعلوا مؤسساتهم العلمية غنية بالمواد والأبحاث فيما يتصل بالتاريخ والقوانين الإسلامية ، واللغات الشرقية وآدابها ونقدتها وتاريخها ، بحيث لا يدعون الدارسين فى هذه المواضيع الحساسة عالية على جهود المستشرقين المشبوهة (95) .

\* أما النقد العلمى النزيه فهو يتمثل بما يلى :

(1) يجب أن يقوم العلماء والمفكرون باستعراض مؤلفات المستشرقين العلمية ومحاسبتها فى ضوء الحقيقة والواقع حتى ينكشف الغطاء عن تلبساتهم وأخطائهم فى فهم النصوص وبيان المعنى ، وعمّا يُكنونه من أغراض سياسية ودينية فى خفايا دعوتهم وتربيتهم (96) .

(2) ويجب أن تكون هذه المحاسبة العلمية فى أسلوب علمى نزيه وكلام وقور رزين ولفظ موزون، بعيد عن التهكم والتنكيت والتجنى والافتراض ، فإن كل ذلك يفقد النقد قيمته العلمية (97) .

(92) الإسلام والمستشرقون ، ص 24 .

(93) المرجع السابق ، ص 24 .

(94) المرجع السابق ، ص 29 .

(95) الإسلام والمستشرقون ، ص 29 .

(96) المرجع السابق السابق ، ص 25 .

(3) نقد الحضارة الغربية ، وإبانة مواضع الضعف فيها ، وعرض محاسن الإسلام بأسلوب عصري ، وأدبي جذاب (98) .

ويستنتج الشيخ الندوى من خلال هذه الدراسة التى تبين لنا حقيقة الدور الاستشراقى التخريبي: " إن كل ذلك لا يقف سداً منيعاً - فحسب - أمام الردة الفكرية التى تكاد تكتسح الشبَاب الإسلامى المثقف الذكى، والتي كانت تنتشر فى البلاد التى كانت مستعمرات غربية ، انتشار النار فى الهشيم ، بل يفتح الباب على مصراعيه فى أوربا لمد الدعوة الإسلامية ، وللتعريف بالإسلام ، والقرآن والسيرة النبوية ، وبالتالي يجذب من أراد الله به خيراً من سكان هذه الرقعة من أرض الله إلى عين الإسلام الصافية وحصنه المنيع " (99) .

\* فراغ علمى كبير يجب أن يملأ :

ففى ضوء ما سبق يرى الشيخ الندوى - أنه لا بد من الجمع بين الطريقتين المذكورتين لسد تأثير المستشرقين السلبي وإصلاح هذا الفساد ولملأ الفراغ العلمى الذى حدث لانعزال الأمة الإسلامية عن قيادتها العلمية والفكرية والأدبية والحضارية كما كانت فى العصور القديمة .

وبدون الجمع بين هذا وذاك لا تتحرر الطبقة المثقفة فى العالم الإسلامى من تأثير أفكار المستشرقين المسمومة وسيطرتهم العلمية .

ومما يدل على ضعف المواجهة ووجود النقص - بل الفراغ - اعتماد الأوساط العلمية والجامعات الشرقية على مؤلفات المستشرقين اعتماداً كلياً فى المواضيع الإسلامية الخالصة ، وهذا - بدون شك - يفسح المجال لهذه المؤلفات المسمومة كى تحل مكانها منها من العقول والقلوب وتترك أثرها الطبيعى فى أذهان الجيل المثقف .

فإن الفراغ - كما يقول الشيخ الندوى - فى ناحية من نواحي الحياة البشرية وحاجاتها لا يبقى طويلاً ، وهو مخالف لسنة الله فى خلقه وللفطرة البشرية ، فيسد ذو الحاجة حاجته بشيء سقيم إذا لم يجد شيئاً سليماً ، وما لم تتحرر هذه الطبقة المثقفة - التى ترزح تحت تأثير أفكار الغرب وعلمائه - من سيطرتهم لا تزال الأقطار الإسلامية تواجه عاصفة الاضطرابات العقلية ، والردة الفكرية ، ويتبنى حملة التجديد والتغريب أفكارهم وآراءهم ، حتى إذا تمت لهم سلطة سياسية ، حاولوا تطبيق كل ما يناهى روح الإسلام على المجتمع ، وتنفيذه فى الحكم ، ويشكلون بذلك مجتمعاً لا يشبه المجتمع الإسلامى القديم إلا فى الجنسية والقومية ، ولكنه مجتمع أجنبى يتجه نحو الغرب والمادية فى الحقيقة والواقع (100) .

وهنا يتساءل الشيخ الندوى : هل قام الباحثون الإسلاميون والكتاب المسلمون باللغات الأوربية ذات النفوذ العالمى بدورهم وواجبهم فى هذا الاتجاه ؟

وقبل استعراض إجمالى للعمل الإسلامى فى مجال البحث والتحقيق فى العالم الإسلامى فى العصر الحاضر للإجابة على هذا السؤال فإننا لو ألقينا نظرة إجمالية على أحوال العالم

(97) المرجع السابق ، ص 27 .

(98) المرجع السابق ، ص 30 .

(99) المرجع السابق ، ص 32 .

(100) الإسلام والمستشرقون ، ص 27 ، 28 .

الإسلامى لنجد أن العالم الإسلامى اضطر أن يواجه منذ منتصف القرن التاسع عشر المسيحى الحضارة والثقافة والأفكار والفلسفات ، والمثل الغربية ، ولو كان المسلمون يقظين مدركين لواجبهم وللتحديات المحيطة بهم لكان ذلك كفيلاً بقيام حركات تؤدى إلى وفرة الإنتاج ، وكثرة وضع الكتب عالية المستوى بأرقى اللغات الأوربية وأوسعها نطاقاً فى كل الدول والمجتمعات الإسلامية فى جميع مجالات العلوم الإسلامية ، ونقد الحضارة الغربية ، وإبانة مواضع الضعف فيها وعرض محاسن الإسلام ، وأن يستخدم أبناؤها المسلمون الملكات الخطابية والكتابية فى هذه اللغات على المستوى الكبير ، وتتكون فيها مكتبة واسعة فى مدة قصيرة تمد الشباب المسلم بالثقة بالذات والإباء، والشعور باكتفاء الإسلام الذاتى فى جميع مجالات الحياة ، وترغم المفكرين الغربيين والطبقة المثقفة فى أوربا و فى أمريكا والمستشرقين عامة على الدراسة الجادة للإسلام على الأقل - إن لم تستطع أن تبعثهم على الدخول فى حظيرة الإسلام - وتحدث سيلاً جارفاً من الأبحاث الإسلامية ، والإنتاج الأدبى واللغوى ، تصطدم أمواجه القوية بجدران الجامعات الشهيرة فى العالم فى أوربا وأمريكا وكندا ، ولا يدعون الدارسين فى هذه المواضيع الحساسة ، عالة على أي نكولسون ، وعلى أي براون ، وعلى أي حتى فى دراسة التاريخ الأدبى والسياسى والحضارى لبلاد العرب وإيران ، وعلى أي جولدسهر وعلى أي شاخت فيما يتصل بدراسة الشريعة الإسلامية، وتاريخ تدوين الحديث والفقه ، ولا على أي ما رغوليوث فى دراسة لغة القرآن الكريم وعلومها ، وآدابها وشعرها ، ولا على أي بروكلمان ألخ (101) .

كل الدلائل والتوقعات كانت تشير إلى أنه سيبتدى فى العالم الإسلامى عهد جديد للبحث والتحقيق والتصنيف فى المواضيع الإسلامية بلغات العالم الحية بصفة عامة وباللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والهولندية بصفة خاصة .

ولكن من الحقائق المولمة - كما يعبر الشيخ الندوى - أنه لم يتحقق هذا الرجاء (102) .

#### (8) ميزة شبه القارة الهندية من بين الأقطار الإسلامية المواجهة :

ومع اعتراف الشيخ الندوى بقلّة الإنتاج العلمى التحقيقى فى الدول المواجهة ، وبتقصير الجامعات والهيئات فى إخراج الأعمال الواسعة التى تملأ هذا الفراغ العلمى الكبير فى اللغات الغربية ، وتحقيق الآمال السابقة ، فإنه يذكر أن لشبه القارة الهندية دوراً رانداً متميزاً فى الإنتاج العلمى لا نجد مثيلها فى العالم العربى ، برغم بقائها مدة طويلة ترزح تحت نيران الاستعمار البريطانى إلا أن الشعور الدينى والوعى الإسلامى والغيرة الدينية الشديدة التى يمتاز بها الشعب المسلم الهندى جعلته يبادر إلى قبول تحديات التبشير ( التنصير ) ووضع أفضل الكتب وأقواها فى الرد على المسيحية ، ونقد العهد القديم والعهد الجديد ، فقد واجه الشعب المسلم الهندى الدعوة المسيحية وجها لوجه .

وقد قيض الله لقيادة هذه الحركة الهجومية - لا الدفاعية - خيرة رجال هياؤا نفوسهم لهذا العمل الخطير الدقيق الذى تشاغل عنه العلماء والمؤلفون (103) .

نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر العلامة الشيخ رحمة الله الكيرانوى الهندى (1233هـ - 1308هـ) مؤلف كتاب (إظهار الحق) (104)، والعلامة السيد آل حسن الموهانى

(101) المرجع السابق، ص 29 - 31 .

(102) المرجع السابق ، ص33 .

(103) المرجع السابق ، ص 33، 34 وما بعدها .

( 1287هـ ) صاحب كتابي " الاستفسار " و " والاستبشار " والشيخ عنایت رسول الجریاکوتی  
( 132هـ ) صاحب كتاب " البشرى " ، والشيخ عبدالحق الحقانی صاحب التفسیر المشهور باسمه ، والشيخ محمد علی المونجری مؤسس ندوة العلماء ، والقاضی محمد سلیمان المنصورفورى والسید نواب علی الکهنوی، صاحب كتاب " تاریخ الصحف السماویة " ، ومولانا ثناء الله الأمر تسرى .

وهكذا تكونت منهم ومن غیرهم مكتبة عظيمة فى الرد على النصرانية ، والصمود أمام هجمات الديانات الأخرى الدعویة والعلمیة (105) .

كما أنتج علماء مسلمون آخرون فى الهند أعمالاً رائدة جلیلة لا نجد نظیرها فى أوربا وأمريكا ، مثل كتاب " الخیام " للعلامة السید سلیمان الندوی وقد صرح الدكتور محمد إقبال بعد قراءته بأنه لا يمكن أن یؤلف فى هذا الموضوع أحسن منه، وكذلك كتاب العلامة شبلى النعمانی المعروف بـ " شعر العجم "، وهو كتاب لا مثیل له فى الأدب الفارسى ولا الهندى، وكتاب " الصلات بین العرب والهند "، و " الملاحه عند العرب " للعلامة السید سلیمان الندوی ، وكتاب " الجزية فى الإسلام " ، و " مكتبة الإسكندرية " للعلامة شبلى النعمانی ، وكتاب " الثقافة الإسلامیة فى الهند " و " نزهة الخواطر " للعلامة السید عبد الحى الحسنی ( والد الشيخ أبو الحسن الندوی ) فهذه كتب لا نظیر لها فى المكتبة الإسلامیة المعاصرة الزاخرة .

وهكذا نجد فى أواخر القرن التاسع عشر المیلادى وأوائل القرن العشرين بعض مؤلفات الكتاب الهنود المسلمین الإنجلیزیة الممتازة فى التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامیة ، على رأسهم وفى مقدمتهم السید امیر علی مؤلف كتاب ( The Spirit of Islam ) ( روح الإسلام ) الذى أثار الإعجاب والتقدير ، والاعتراف بصدق الإسلام وحقیقته من المثقفین الإنجلیز ، وقد قال عنه المستشرق آسبورن .

" إن هذا الكتاب يستحق الإعجاب حقاً ، وقد كتب بأسلوب يدل على امتلاك كاتبه لخاصیة اللغة الإنجلیزیة ... " .

والمؤلف الثانى المسلم الذى تجاوزت شهرته الهند ، هو " صلاح الدین خدا بخش " الذى نقل عدداً من الكتب فى الموضوعات الإسلامیة من الألمانية إلى الإنجلیزیة ، أما كتبه التى وضعها بالإنجلیزیة فمن أشهرها المجلد الثانى من كتاب ( Contribution to the History of Islamic civilization ) (مساهمة فى تاریخ الحضارة الإسلامیة) وكتابه ( Essays India - Islamic ) ( مقالات فى الهند والإسلام ) ، وكذلك العلامة الدكتور محمد إقبال صاحب كتاب ( Reconstruction of Religious Thought in Islam ) ( تجديد التفكير الدینی فى الإسلام ) الذى استرعى انتباه العالم ، واستفاد منه رجال العلم فى أوربا.

---

(104) وللشيخ رحمة الله ثلاثة كتب أخرى فى نقد النصرانية وإثبات الإسلام وهى : " إزالة الأوهام " و " وإزالة الشكوك "

و " أصح الأحادیث فى إبطال التثلیث " .

(105) المرجع السابق ، ص 37 ، 40 ، 41 .

وهكذا العلامة عبدالله يوسف على صاحب ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، وأيضاً الأستاذ الكبير عبدالماجد الديرابادي صاحب ترجمة معانى القرآن الكريم بالإنجليزية (106) .

هذا وقد تحدث الشيخ الندوى فى هذه المناسبة عن المؤلفات الإنجليزية على المواضيع الإسلامية للعلماء المسلمين الهنود المعاصرين ، ومؤلفات الكتاب " المهتمين " القوية ، وعن دور المجمع الإسلامى العلمى وإنتاجه باللغات الإنجليزية والعربية والأردية والهندية ، وعمّا لعبه مجمع " دار المصنفين " من الدور البارز فى مجال التأليف والتصنيف والنشر ومواجهة خطر الغزو الفكرى وكتابات المستشرقين المغرضة ، وعمّا قامت به " ندوة المصنفين " من الخدمات الجليلة فى مجالات العلوم الإسلامية المختلفة .

وهناك كتاب وباحثون آخرون خارج هاتين المؤسستين العلميتين الكبيرتين ، صدرت لهم كتب ذات قيمة كبيرة فى المواضيع الإسلامية ، من أشهرهم مولانا أبو الكلام آزاد ، والعلامة السيد مناظر أحسن الكيلانى وغيرهم .

وأشار الشيخ الندوى وهو فى سبيل استعراض المنجزات العلمية لعلماء شبه القارة الهندية إلى جهود علماء باكستان فى مجال البحث الإسلامى العلمى والدراسات الإسلامية .

ومن الحقائق التاريخية أن علماء الهند الذين درسوا العلم على الطريقة القديمة لم يتخلفوا عن ركب العلم والبحث والتحقيق فترة قصيرة من الزمن ، ولم تنقطع صلتهم بلغات بلادهم وآدابها، بل قام بعض الأفراد فى الهند وحدهم بدور المجمع العلمية من بحث وتحقيق وكتابة وتأليف ، وذلك كله فى عزلة علمية مادية ، وبعد عن الدعاية والشهرة ، نخص بالذكر من هؤلاء العلماء والمؤلفين العلامة محمود حسن خان التونكى ، صاحب كتاب " معجم المصنفين " ( فى العربية ) فى نحو ستين مجلدًا ، يحتوى على تراجم أربعين ألفًا من المصنفين ، والعلامة عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفورى ، صاحب تحفة الأحوذى فى شرح جامع الترمذى فى ثلاث مجلدات كبار (107) .

والجدير بالذكر - أن هذه الأشواط التى قطعها علماء شبه القارة الهندية فى مجال البحث والتحقيق والدراسات الإسلامية ؛ فهذه كلها وإن كانت أكثر فى اللغات الأجنبية بالنسبة إلى الأقطار الإسلامية الأخرى، ولكنها - حسب تعبير الشيخ الندوى - أقل من الواجب المطلوب فى هذا المجال.

أما العمل التأليفى والتحقيقى فى اللغة العربية التى هى اللغة العلمية العالمية للعالم الإسلامى، وأولى اللغات بأن تتم فيها الدراسات الإسلامية والبحوث العلمية على مستوى أعلى وإطار أوسع ، فقد ظهرت فيها فى العالم العربى مؤلفات وبحوث ؛ إن لم تكن جديدة بسعة هذه اللغة وسعة العالم العربى وأهميته كمأ وعدداً ، فإنها لاشك تعتبر نماذج للبحث العلمى وغزارة المادة ، وحسن التحليل ، تأتى فى طليعة هذه الكتب سلسلة " فجر الإسلام " و " ضحى الإسلام " للدكتور أحمد أمين ، على ما فيها من مأخذ وملاحظات ، وفى بعض آراء المؤلف شذوذ ومجال للنقاش .

(106) فى مسيرة الحياة ، ج2 ، ص 171 ، 172 ، و انظر أيضا : الإسلام والمستشرقون ، ص 42 - 46 ، يتصرف واختصار .

(107) الإسلام والمستشرقون ، ص 52 وما بعدها ، يتصرف واختصار .



وكتابات أمير البيان شكيب أرسلان وتعليقاته ، خصوصاً كتابه الجليل " الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية " وحواشيه على كتاب " حاضر العالم الإسلامي " ، وكتاب " الأعلام " للأستاذ خير الدين الزركلي، ومؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد ، والأستاذ كرد على ، وكتاب " تاريخ العرب قبل الإسلام " للدكتور جواد علي ، وكتاب " تاريخ التراث الإسلامي " لفؤاد سزكين ، وكتب اللواء الركن محمود شيت خطاب في الغزوات والفتوح الإسلامية بعنوان " قادة الفتح الإسلامي "

و " الرسول القائد " و " موسوعة مقدمات العلوم والمناهج " ، للأستاذ أنور الجندى . فهذه الكتب مثال للكتابة العلمية والتاريخية ، والعمل المجمعى الموسوعى ، أما فى الموضوعات الدينية الشرعية والعقائدية ، فكتب العلامة محمد أبى زهرة ، ومؤلفات المجاهد الداعية الدكتور مصطفى السباعى ، وكتاب " قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن " للشيخ نديم الجسر ، فهى أفضل ما كتب فى الموضوع وأجمعه .

وكذلك كتابان للعالم العراقى الأستاذ محمد باقر الصدر ، وهما كتاب " اقتصادنا " والكتاب الثانى " فلسفتنا " يتسمان بعمق الدراسات المقارنة والاطلاع الواسع ودقة النظر فى الفلسفات

والنظم المعاصرة (108) .

ويأتى بعد ذلك دور كتابات الأستاذ سيد قطب الشهيد، فى مقدمتها كتاب " العدالة الاجتماعية فى الإسلام " و مؤلفات أخيه محمد قطب، ككتابه " شبهات حول الإسلام " ، وكتاب الدكتور محمد البهى " الفكر الإسلامى الحديث " وكتاب الأستاذ محمد المبارك " فى الفكر الإسلامى الحديث " ، وكتاب " الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر " للدكتور محمد حسين ، أما كتاب " فقه الزكاة " للدكتور يسوف القرضاوى فهو عمل موسوعى كبير وأجمع ما كتب فى هذا الموضوع .

وقد اقتصر الشيخ الندوى استعراضه للعمل الإسلامى فى مجال البحث والتحقيق على ذكر تلك الكتب والبحوث التى تتناول الموضوعات التى كانت تعتبر من خصائص المستشرقين ومجالات تأليفهم ، وتمتاز بالاتجاه الموسوعى الأكاديمى والدراسات المقارنة والاستفادة من المصادر الأجنبية، وإلا فقد نشأت نهضة أدبية وتأليفية قوية بتأثير حركة " الإخوان المسلمون " الكبرى فى مصر ، وانتقل الأدب والكتابة والتأليف من دائرة البحث والتحقيق ، المقصورة على العلماء والدارسين ، إلى دائرة شعبية أوسع ، ونبغ كتاب ومؤلفون يخاطبون الجمهور ويحركون العاطفة والإيمان ودوافع العمل الباطنية ، وتمسّ كتاباتهم القلوب ، كما أنها تغذى العقول ، كان فى مقدمتهم وعلى رأسهم الأستاذ سيد قطب ، والشيخ محمد الغزالى ، والأستاذ سيد سابق ، والأستاذ على الطنطاوى وغيرهم .

واستعراض هؤلاء الكتاب وكتاباتهم الإسلامية الدعوية موضوع مؤرخى الفكرة الإسلامية، والدعوة الإسلامية ، ومجال البحث فيها واسع فلا حاجة إلى التعرض بذكرها. أما البحث والتحقيق فى الجزيرة العربية ، فقد بدأت رحلتها فى عهد الحكومة السعودية أخيراً بجانب حركة البحث والتحقيق التى نشطت وتوسعت فى مصر والشام كما ذكرنا آنفاً (109) .

ولا يمكن التغاضى بالمناسبة - كما يشير الشيخ الندوى - عن إسهامات رسائل الدكتوراه الجامعية والبحوث التى يعدها طلبة مرحلة الدكتوراه فى التمرن على البحث العلمى

(108) المرجع السابق ، ص 96 ، بتصرف و اختصار.

(109) المرجع السابق ، ص 108 ، بتصرف .

على الأسلوب العصري الجديد ، وإن كان أكثرها لا تحمل قيمة كبيرة لكثرة الراغبين في ذلك وعدم وجود الإشراف الدقيق ، والتوجيه البصير الجاد في كثير من الجامعات ، ولكن بعضها تحمل الخصائص الحسنة التي اشتهرت بها كتابات المستشرقين .

أما في إيران وتركيا - حسب معرفة الشيخ الندوي - فالإنتاج العلمي التحقيقي فيهما قليل ، ويستثنى من ذلك كتب الدكتور السيد حسين نصر باللغة الإنجليزية ، وهي على مستوى رفيع من البحث واللغة .

أما ما يتصل بالمغرب العربي الشمالي ، فما زالت - كما يقول الشيخ الندوي - المدرسة المغربية الإسلامية ، تحمل طابعاً خاصاً يتسم بسعة الدراسة ونقاء اللغة والإطلاع الواسع على مصادر السنة ودواوين الحديث ، وقد كانت مؤلفات العلامة الشيخ عبدالحى الكتانى الحسنى الإدريسي وخصوصاً كتابه " التراتيب الإدارية في نظام الحكومة النبوية " أشبه بموسوعات العلم الغزير والفوائد الكثيرة ، وقد نبغ في المغرب العربي مؤلفون باحثون تعمقوا في الدراسات الدينية مثل العلامة زعيم المغرب الأستاذ علال الفاسي ، والشيخ محمد طاهر بن عاشور ، والأستاذ محمد بشير الإبراهيمي ، والأستاذ مالك بن نبي وغيرهم كثير وكثير يصعب استقصاء أسمائهم (110) .

وفي نهاية هذا الاستعراض الإجمالي يذكر الشيخ الندوي المسلمين بواجبهم ومسئولياتهم نحو العالم ، وما يلحق بهم من الخسارة لو تخلوا عنها قانلاً : " بأن القيادة العلمية والفكرية والأدبية للعالم كله من واجبات المسلمين ، وهي حق للأمة الإسلامية ، وماذا سيجر من شقاء وبلاء لو تخلت هذه الأمة عن منصبها ودورها القيادي ، وما تلحق بها كذلك من خسائر وأخطار" (111) ،  
{ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير } (112) .

فهذه موجز دراسة الشيخ الندوي لمسألة الاستشراق والمستشرقين تمتاز - على وجازتها - بالجمع بين الموضوعية الجادة والنقد المنهجي العلمي والتحرر من الأسلوب الجامد المعقد ، وسهولة اللفظ وعذوبته، والعبارة الأدبية الجميلة التي تناسب العامة والخاصة من القراء ، وهذه ميزة عامة في أسلوب الشيخ الندوي .

كما تمتاز هذه الدراسة بالإنصاف والوسطية في تقييم أعمال المستشرقين وبحوثهم في الموضوعات الإسلامية وقبول النافع منها ورد ما دونه ونقده وكشف زيفه .

وتتسم هذه الدراسة أيضاً باستعراض إجمالي لأدب الدعوة في اللغات الأجنبية والعمل البحثي والتحقيقي الموسوعي والدراسات المقارنة في العالم الإسلامي .

(110) المرجع السابق ، ص 12 ، 14 .

(111) في مسيرة الحياة ، ج 2 ، ص 167 .

(112) سورة الأنفال ، الآية : 73 .